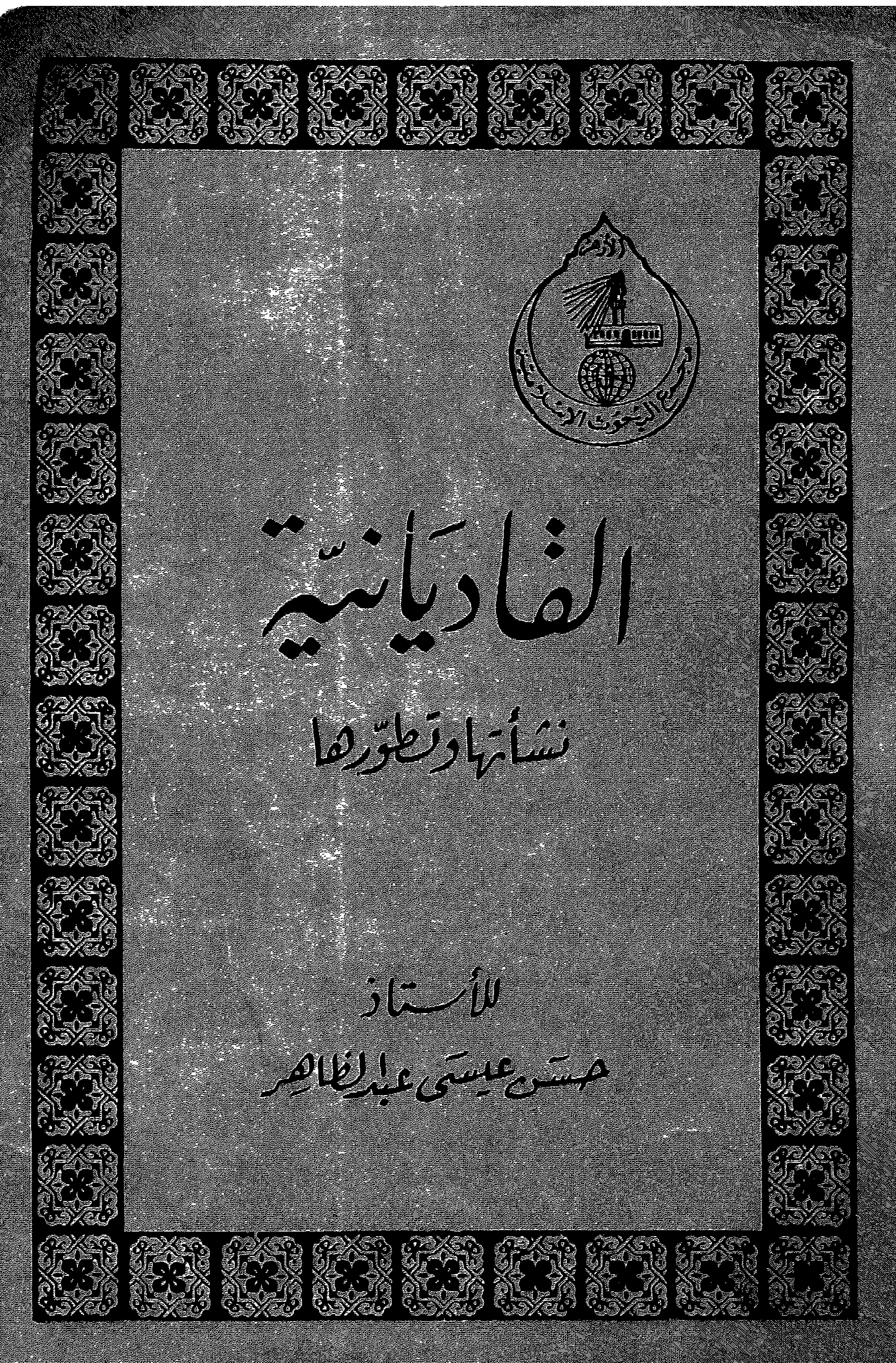

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
القاديانية
نشأتها وتطورها
للأستاذ
حسن عيسى عبد الظاهر

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. محمد دياب

جراح بالمستشفى الملكى المصرى

القاديانية

نشأتها وتطورها

تأليف

حسن عيسى عبد الظاهر

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .

وبعد

فإن الإسلام هو دين الله ، دعا إليه كلُّ رسول ، وبعث به خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد — صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين — فهو دين الله الخالد ، نطقت بعقائده وتشريعاته كلمة الوحي سمحاء نقية ، لا عوج فيها ولا التواء ، واستقام عليها العقل البشرى ، بلا تناقض ولا خصام ، واستجابت له وتستجيب ملايين البشر ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

* * *

ومنابع هذه الرسالة الخاتمة هى القرآن والسنة ، وقد ظلت وستظل تمدّ الحياة والأحياء بالحق الذى لا يلابسه ريب : (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) ومن أصالة هذه الرسالة وسيماها المميزة أن الله — سبحانه — تولى حفظها بحفظ كتابها الخالد : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

وببعثة رسولها محمد – صلى الله عليه وسلم – ختمت رسالات السماء : (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) .

وكان هذان الأساسان : حفظ الله تعالى لكتابه ، وختمه الرسالات بسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – مما تميزت به رسالة الإسلام الخالدة العامة ، واستبانت معالمها ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

وصار لها بذلك أصالة وحصانة ترد عنها كل زيف أو بهتان .

* * *

وعبر الأجيال والسنين وموكب الفكر الإسلامى على ضوئها ينشر راياته، لكن بين الحين والحين تتسلل إليه عناصر غريبة عنه فى نشأتها ومنزعها ، أو تنبت فى حقله نابتة لا ينزعها إليه عرق ، تبدو نتوءًا فى جسم هذا البناء الشامخ الأشم .

وتكون هذه وتلك فتنة ماتلبث أن يتبين دَخَنُها وغربتها عن هذا الدين القويم ، وقد شهد عصرنا الحاضر – كما شهد غيره من قبله – نماذج من تلك النتوءات ، التى تظهر فى جسم الأمة الإسلامية ، وتنبت فيه كما ينبت الحسك والسَّعْدان ، تعيش على حساب هذه الأمة وباسمها ، ولا تجنى الأمة منها إلا البوار مما يقتضيها دائما

أن تكون لمثل هذا على يقظة تامة ، تنبه عليه ، وتشذبه ، وتنقى خبثه ، وتكشف مافيه من زَيْغ .

وهذا البحث الذى بين يدى القارىء الكريم يقدم لنا بالدراسة والتحليل والنقد نمطا من هذه الأنماط الخارجة على الإسلام ، وهو « جماعة القاديانية » التى تمثل انحرافا عن سبيل الإسلام المستقيم ، شغلت به المجتمع الإسلامى ، وما زالت تشغله بأفكار واتجاهات غريبة ، لاتمت إلى الإسلام بصلة ، مما يقتضى أبناء الإسلام تقويم هذا الانحراف ، وبيان معوجه .

ولقد كانت هذه التيارات الغريبة عن الإسلام مثار اهتمام « المجمع » فى مؤتمراته العالمية السابقة ، حيث وجه الباحثين إلى دراستها ، تمهيدا لعرضها على المجتمعات الإسلامية ، فى أسلوب البحث العلمى ، البعيد عن الإنفعالات والإثارة ليقف المسلمون فى العالم على أسرارها وخباياها .

والمجمع يقدم اليوم هذا البحث عن : « القاديانية » للأستاذ حسن عيسى عبد الظاهر وهو ابن من أبناء الأزهر ، الذى حملوا أمانة رسالته فى قطر إسلامى ، تسنى له فيه أن يلمس عن قرب معالم هذه الفرقة من واقع نشاطها ومدارسة دعاتها ، وقدم فى بحثه نصوصا من مؤلفات دعاتها ،

يدعم بها دراسته لهذه الفرقة ملتزما فى ذلك المنهج العلمى فى بيان الحق ، والنصرة له ، ودفع الشُّبَه عنه .

والله نسأل أن ينفع به ، فالحق أحق أن يتبع ، والله ولى المؤمنين (فَأَما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأَرض) .

دكتور محمد عبد الرحمن بيصار
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

تقـــديم

الحمد لله يقول الحق وهو يهدى السبيل . .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هداه ، إلى يوم الدين .

وبعد

فقد ظهرت الدعوى القاديانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فى بلاد الهند ، وشغلت الأمة الإسلامية ، ومازالت حتى اليوم بأفكارها ونشاطها ، الذى تجاوز حدود وطنها إلى أنحاء كثيرة من العالم الإسلامى ، وبخاصة فى المواطن النائية والنامية عنه .

وأبرز مايكون نشاطها حيث تنفرد بالدعوة باسم الإسلام فى هذه المواطن ، فى أمريكا وفى أفريقيا ، على سبيل المثال .

* * *

وصاحب هذه الدعوة هو « مرزا غلام أحمد القاديانى » الذى قدم نفسه بدعواه مصلحا ، ومجددا ، ثم مهديا ، ثم المسيح الموعود ، وأخيرا نبيا ورسولا وهى دعوى تنافى الإسلام ، فى كثير من عقائده وشرائعه .

وخطورتها : أنها تُقدَّم باسم الإسلام ، وعلى أنها هى الإسلام الصحيح ، وتجد آذانا تستمع لها ، ممن ليس لهم علم سابق بالإسلام ، أو من البسطاء الذين يُخدعون بها وبدُعاتها .

وقد ساندها فى نشأتها ، وفى امتداد نشاطها المستعمرون الصليبيون ، نظرا لما قدمته لهم من خدمات ، بالعمل على تسكين الثورة ضدهم فى الهند ، وفى غيرها من المستعمرات ، بالترويج لدعوى إبطال الجهاد ، وفتح ثغرات التشكيك فى الإسلام ، وبلبلة الأفكار حوله .

فضلا عما يمتاز به مدعيها ، ودعاته من بعده من نشاط كبير فى الكتابة ، وإنشاء المراكز لبث دعوتهم ، وقد حققوا نجاحا فى موطنهم ، وفى بعض البلاد التى نشطوا فيها .

وقد تعقبهم علماء المسلمين ومصلحوهم ، بتفنيد دعوتهم ، وإظهار أباطيلهم ، وتبصير الأمة بانحرافاتهم ، ودافعوا هم عن أنفسهم باستماتة وما يزالون . . .

* * *

وقد لمست نشاطهم عن قرب ، فى إحدى البلاد الإفريقية فى (نيجيريا) ، وفى مدينة « كانو » بالذات ، واقتضت طبيعة عملى هناك — كمبعوث للأزهر للدعوة إلى الإسلام ، ونشر ثقافته — أن أطلع على كثير من أفكارهم ، وأواجه نشاطهم ، وأساليب دعاتهم ، والآثار القريبة والبعيدة لها ، وكانت لى مع بعض دعاتهم تجارب ، ولقاءات فكرية ، أتاحت لى التعرف على أفكارهم ، من واقع ماكتبه

داعيتهم ، وصاحب مذهبهم ، ومما كتبه دعاته من بعده ، ومن واقع ما قرأته وما استخلصته من مناقشتى معهم ، ومع بعض من خدع بهم ، تبين لى : أن القوم يعملون لحساب داعيتهم ومن يساندونه ، لالحساب الإسلام بأى حال ، وأنهم أصحاب دعوى باطلة ، يروجها دعاة لها مخلصون ، ودائبون فى نشاطهم ، بل ومتجردون لها .

وقد مُكن لهم فى المستعمرات الإنكليزية بما لم يمكن لغيرهم ، وخطرهم على الإسلام والمسلمين قائم فعلا ، الأمر الذى يقتضى التصدى لهم بكشف حقيقتهم ، وتنحية أباطيلهم عن وجه الإسلام الوضىء ، وبيان موقعهم من دعوة الإسلام الحق ، وأنهم ليسوا على شىء منها ، وتنبيه المسلمين إلى خطرهم .

ولتكن دعوتهم بعد ذلك ما شاءوا إلا أن تكون باسم الإسلام ، أو على حسابه ، فذلك أخطر تزييف له ، تروجه أصابع خفية ، تكيد للإسلام وتحقد عليه .

* * *

وفى سبيل رد العوادى عن الإسلام وكشف أباطيل المزيفين والدجالين باسمه كتبت هذا البحث لبيان دعوى القاديانية ، وكشف حقيقتها .

وقد تناولت فيه دراسة البيئة والعصر ، والمؤثرات التى نشأت فى ظلالها هذه الدعوى ، وعرضت لإلقاء الضوء على حياة «مرزا غلام أحمد القاديانى » ، كما عرضتُ لنشأة دعواه ، والمراحل التى تطورت إليها .

ثم بينت دعوى القاديانية وأفكارها فى جوانب العقيدة والفروع ، وناقشت مواطن الانحراف ، وذكرت وجوه الصواب لها ، ورد الشبه

الواردة فى مسائل الوحى وختم النبوة والجهاد ، ونزول المسيح — عليه السلام — ودعوى القاديانى لنفسه حق التشريع .

وقد ختمت هذه الدراسة ببحث عن تطورات « القاديانية » بعد صاحبها ، وتتبعت انقساماتها ، ووجوه نشاطها ، ثم بيان موقف الإسلام منها .

وقد التزمت — فى بيان المواقف والآراء — دعمها بالنصوص من كتابات القاديانى نفسه ، ثم كتب دعاته من بعده ، ليكون القارئ وجها لوجه أمام أفكارهم ، وتكون إدانتهم بكلامهم .

فإن كنت قد وفقت لما قصدت إليه فلله الحمد والمنة ، وهو من وراء القصد خير معين .

وإن أكن قد قصر بى الجهد عن توفية الموضوع تمامه ، فأرجو أن يكون خطوة فى سبيل الدفاع عن الإسلام ، وتنحية زيف المزيفين عنه ، يشحذ همةَ الدعاة إلى الإسلام ، لمواصلة البحث ، لرد دعاوى المنحرفين والمزيفين : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) .

والله الموفق للصواب وهو نعم المولى ونعم النصير ؟

حسن عيسى عبد الظاهر

الباب الأول

وطن القاديانية وعصرها

---

* الفصل الأول : البيئة وأثرها ..
* الفصل الثاني : الاستعمار الإنجليزي وآثاره في الهند ..

الفصل الأول
البيئـــة وأثرها

الهند [1] : جغرافيا ، وبشريا :

نشأت القاديانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى الهند .

وبلاد الهند تبلغ من الاتساع والتنوع ما تتجاوز به مفهوم (الوطن الواحد) و (الأمة الواحدة) و (العقيدة الواحدة) .

* * *

فهى (جغرافيا) : فسيحة الأرجاء ، تعد بحساب المساحات أكبر من بريطانيا العظمى عشرين مرة ، ولم تكن قط فى زمن من الأزمان (وحدة جغرافية) إذ كانت المواصلات فيها منقطعة أو متعذرة .

وتترامى أطرافها شمالا ، حتى تحدها سلسلة جبال الهملايا ، متجهة شرقا حتى جبال آسام ، وغربا حتى جبال هندكوش وسليمان ، حيث تقع أفغانستان وإيران ، ثم هى تمتد إلى الجنوب فى شبه جزيرة يقع « بحر العرب » فى غربها ، وخليج البنغال فى شرقها ، وسيلان فى طرفها الجنوبى [2] .

وهى (بشريا) : تنتظم أمما وشعوبا شتى ، ليسوا من جنس واحد ، ولا يتكلمون لغة واحدة ، وينقسمون إلى طبقات ، والطبقات

---

(١) حين تذكر الهند قبل التقسيم سنة ١٩٤٧م فإنما يراد بها دولتا باكستان والهند الآن .

(٢) أنظر (سكان هذا الكوكب) ص ٢٢٨ .

إلى فروع ، كل منها ينطوى على نفسه فى العبادة والزواج والمعيشة ، على نمط من التعصب العقائدى للتقاليد .

* * *

وهى (وطنيا) : لم تكن على وحدة بأى معنى من معانى الوطنية ، بل لم يكن لها قط اسم واحدقبل دخولها فىحوزة الدولة البريطانية .

وقد اختير لها هذا الاسم ، إيثارا لليسر من اختراع اسم جديد ،

وما كان هذا الاسم « الهند » يطلق قبل على غير نهر السند وواديه ، وهو بالنسبة لها جزء من قارة ، كان يجهله كثير من سكانها المتفرقين فى أرجائها .

* * *

من أجل هذا كله لم يكن ينظر إليها كأمة واحدة ، كمصر ، أو بابل ، وإنما كان النظر إليها كقارة بأسرها ، فيها من تنوع المناخ ، والسكان ، واللغات ، والآداب ، والفلسفات ، مافى قارة بأكملها .

هذه القارة أو شبه القارة بكيانها هذا تنقسم إلى قسمين عظيمين :

الأول : هضبة مرتفعة نوعا فى الجنوب ، يحف بها غربا بحر العرب ، وشرقا خليج البنغال ، ويطلق عليها اسم هضبة « الدكن » ويجرى معظم أنهارها إلى الشرق .

الثانى : عبارة عن السهول الشمالية ، التى يجرى فيها نهر الكنج ، ونهر السند غربا ، وهى منحصرة بين جبال هملايا وهضبة الدكن .

وفى هذا القسم ، وفى الطرف الشمالى منه يقع إقليم « البنجاب[(١)] » بعاصمته الجميلة « لاهور » ، وفى مديرية « غوردا سفور[(٢)] » : من هذا الإقليم ، وفى قرية صغيرة فيها تسمى « قاديان » ولد « مرزاغلام أحمد قاديانى » وإليها كانت نسبته ، وفيها نبتت معه نحلته .

* * *

الهند وطن الأديان والنحل والمذاهب :

هى وطن لذلك ، وأيضا وطن متنبئين ومتألهين تصف ألسنتهم الكذب ، ذلك أن طبيعتها فى الدين لا تفترق عن طبيعتها المناخية تلك المتنوعة والمتلونة بألوان أشبه ما تكون بألوان قوس قزح تتألف من أطياف وظلال شتى من المذاهب والنحل .

وعامل العقيدة فيها هو قوام حياتها وأساس نظمها[(٣)] وأكبر مؤثر فى تاريخها فى القديم والحديث ، ويبلغ التعصب له وبه مدى لايقوم عليه تباعد الآراء فحسب ، بل تباعد الحياة نفسها ، بعاداتها وتقاليدها ، تباعدا تظهر آثاره مع ساعات الليل والنهار .

---

(١) بنج : معناها : خمسة ، وآب معناها : نهر ، فمعنى البنجاب : أرض الأنهار الخمسة .

(٢) بعد تقسيم الهند سنة ١٩٤٧ م إلى باكستان والهند ، قسم — تبعا لذلك — إقليم البنجاب إلى بنجاب شرقية وبنجاب غربية ، أخلى المسلمون الشرقية ، وأخلى غير المسلمين الغربية ومديرية غوردا سفور — التى تتبعها قاديان — واقعة — بعد التقسيم — فى الهند حاليا (باكستان فى ماضيها وحاضرها) دار المعارف .

(٣) أنظر حضارة الهند ص ٢٥٥ لجوستاف لوبون .

وهذا العامل تتمثل فيه مراحل دياناتها من الوثنية البربرية وتقديس الحيوان والوهم إلى أدق عقيدة فى وحدة الوجود وأوغلها فى الروحانية .

وكما فيها من أدعياء ، فيها كذلك من الفلاسفة من عزفوا مئات الأنغام على وتر التوحيد .

وتسع فى جنباتها الفساح – وجنبا إلى جنب – الهندوسية [1] ، والإسلام ، والبوذية [2] ، والسيكية [3] ، والمسيحية ، وبجوار أولئك مذاهب أخرى لها من الأتباع القليل .

---

(١) الهندوسية أو الهندوكية أو البراهماتا : مسميات لمسمى واحد ، وهى تعتبر أكثر الديانات انتشاراً فى الهند ، وتنتظم مجموعة من الطقوس والعادات والتقاليد ، وهى متعددة الآلهة وأهمها : براهما ، وفيشنو ، وشيفا .

وهى تقسم الناس إلى أربع طبقات : ثلاث منها عليا . ورابعة دنيا ، ونصوصها المقدسة مكتوبة باللغة السنسكريتية .

وهذه النصوص هى « الفيدا » أى المقدس ، وتتضمن أربع مجموعات من الأناشيد والحكم و « الأوبا نيشاد » وهى تتضمن المفاهيم الدينية للبراهمانية ، مع تفسير روحانى للشعائر الدينية ، وشرح فلسفى لها .

(٢) « البوذية » : كلمة بوذا تعنى : المستنير ، وهو اللقب الذى أطلق على أمير ولد فى إقليم « نيبال » فى شمال الهند ، لاكتسابه الحكمة ، ظهر فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد ، وتتلمذ على نساك البراهماتا ، وانتشرت تعاليمه بعد ذلك فى معظم آسيا .

وهى تتلخص فى : أن المعاناة جزء من حياتنا العادية ، وأن منشأها الرغبات التى تمتلىء بها نفوسنا ، وأن علاج ذلك هو القضاء على هذه الرغبات ، وأن معرفة كيفية البدء فى إطفاء هذه الرغبات هى حقيقة الطريق للاستعلاء بالنفس وتزكيتها ، كما تقول بالمساواة بين جميع البشر .

ويقوم بعض أتباع البوذية بعبادة تماثيل « بوذا » باعتباره إلها ، والواقع أنه لا توجد آلهة فى الديانة البوذية .

(٣) « السيكية » : نسبة إلى « سيك » أو « سيخ » . بمعنى : المريدون .

وقد أسس هذا المذهب « كرونانك » فى الهند فى القرن الخامس عشر على أساس التوحيد والمساواة والقول بالتناسخ ، وقد قرأ القرآن ، وذهب إلى مكة للحج ، وسلك طريق الصوفية ، وأخذ يدعو إلى مذهب وسط حتى لا ينفر منه الهندوس .

أثر البيئة والاسلام فى عقائد الهند :

لايمكن إغفال تأثير بيئتها على عقيدتها ، ويبرز (ول ديورانت) هذا الأثر بقوله [1] :

«الحرارة هى العنصر الرئيسى السائد من «دلهى» إلى «سيلان» تلك الحرارة التى أضعفت الأبدان ، وقصرت الشباب ، وأنتجت للناس هناك ديانتهم وفلسفتهم المسالمتين ، فليس يخفف عنك هذه الحرارة الا أن تجلس ساكنا ، ولاتعمل شيئا ، ولا ترغب فى شىء وقد تأتى أشهر الصيف فتأتى رياحها الموسمية برطوبة منعشة ، ومطر مخصب من البحر ، فإذا امتنعت الرياح الموسمية عن هبوبها تضورت الهند بالجوع وطافت بها أحلام النيرڤانا [2] .

ومناخها لايساعد على عقيدة طبيعية تقوم بين الناس وتثبت . .

= وهناك من يقول بإسلامه ، ولكنه مات قبل أن يكشف لأتباعه عن حقيقة معتقده ، فبقى مذهبه مستقلا .

وأتباعه فى مبدئهم كانوا كجماعة صوفية ، وفى مظهر حياتهم العامة كالهندوس ، وشعارهم المحبة والتسامح والتطهر من الآثام ، ولهم معبد كبير فى «دلهى» .

وقد وقع بينهم وبين المسلمين فى الهند معارك كثيرة ، أدت إلى تمكن العداء بينهما ، وكان من أبشعها ماحدث سنة ١٩٤٧م حيث كان السيك أسرع الناس إلى قتل المسلمين والتمثيل بهم .

(١) (قصة الحضارة) ول ديورانت : صفحات : ١٤ ، ٥٩ ، ٤٣٦ .

(٢) النيرڤانا : السعادة الكاملة وتعنى فى «الهند وكية» : أن الميت إذا أظهرت محاسبته بعد الموت أحقيته فى الدخول تقوم إحدى الأرواح بقيادته إلى «النيرفانا» أو السعادة الكاملة : أما إذا أظهرت المحاسبة عدم أحقيته فيعاد إلى الحياة فى شكل إنسان أو حيوان ، وهذا مايعرف بتناسخ الأرواح .

كما أن (النيرڤانا) تعنى فى البوذية : تحقيق حالة انطفاء الرغبات فى النفس كما ينطفىء المصباح إذا أعوزه الوقود .

وهى بازاء ذلك كله (ماتزال تكافح الخرافة والإسراف فى بضاعتها اللاهوتية ، ولكننا لانسطيع التنبؤ بالسرعة التى تستطيع بها أحماض العلم الحديث أن تذيب آلهتهم التى تزيد عن حاجتهم) .

ونسى « ول ديورانت » أو تناسى أثر الاسلام فى إذابة كثير من ذلك الركام من الآلهة المصطنعة ! .

لكن الأستاذ « مسعود عالم الندوى » يبرز هذا الأثر فيقول :

« كان أهل الهند يعبدون ثلاثين مليونا من الآلهة منذ قديم الزمان ، فلما خالطوا المسلمين ، وقرع سمعهم صوت الحق ، ترقت فكرتهم الدينية ، وجعل مصلحوهم يغيرون شيئا فشيئا[1] » .

ثم يسوق نماذج من حركات الإصلاح وغيرها مما له دلالة على خصوبة أرض الهند فى إنبات المذاهب والنحل صحيحها وباطلها وما كان للإسلام من أثر فى التهذيب والتصحيح فيقول :

وأول من قام بالإصلاح « شنكرا جورج » المولود سنة ٧٨٦ م والذى دعا إلى وحدة الوجود ، وعبادة معبود واحد هو « شيفا[2] » وهو إله الموت عندهم وكان ذلك زمن قدوم المسلمين فى «مليبار » .

ثم يليه «رامانج » الذى دعا إلى عبادة «فشنو[3] » وهو إله الحياة عندهم ، وقد ولد هذا المصلح فى القرن الحادى عشر .

ثم نهض رجال مثل « كبير » كان شاعرا ، ومن والدين مسلمين وكان صاحب فكرة ترمى إلى المزج بين الإسلام والهندوسية ، ولا يرى

---

(١) فى مقال بمجلة الضياء العربية عدد رجب ١٣٥٤ هـ — نقلا عن (تاريخ الإسلام فى الهند) ص ٣١٩ ط أولى للدكتور عبد المنعم النمر .

(٢) أحد الآلهة المشهورة فى (الهندوكية) .

(٣) أحد آلهة ثلاثة مشهورة فى آلهة (الهندوكية) الكثيرة .

فرقا بين بورام[١] وبين الكعبة ؛ ولا بين شروح «منومهارشى[٢]» وبين (القرآن) .

و «كرونانك[٣]» و «جينتيه[٤]» اللذان اقتبسا من تعاليم الإسلام السامية مايلائم هواهما ، وأسسا دينا جديدا ، ولا يزال دين «كرونانك» — وأتباعه يدعون بالسيك — الدين القائم على التوحيد منتشرا فى (البنجاب) على الخصوص ، وأتباعه من أشجع الهنود ، وهم أقرب إلى الإسلام منهم إلى الوثنية ؛ لكن السياسة جعلتهم منحازين إلى الهنادك ؛ و «كرونانك» هذا قرأ القرآن وزار بيت الله الحرام .

ومن الدولة المغولية وفى فجر القرن الحادى عشر الهجرى ، تولى عرش المملكة الإسلامية الهندية السلطان «جلال الدين أكبر» وهو ملك أمى ، لم يقرأ ولم يكتب ، رزق عقلا كبيرا وهمة وثابة ، جلس على عرش أبيه وهو شاب فى مقتبل العمر ؛ وعنده رغبة جامحة فى الدراسة والبحث ، فجمع حوله عددا كبيرا من العلماء ، وكان أول من التف حوله علماء الدنيا — بطبيعة الحال — وتناقروا كالديكة . فنشأت عنده الشكوك ، وتزعزعت العقيدة ، واضطرب فى الحقائق

---

(١) مكان المعبد المخصص للإله (شيفا) أحد آلهة الهندوكية بناه «ناراسيمها فارمان الثانى» فى (ممالا بورام) فى الفترة من ٦٨٠ إلى ٧٢٠ م ورمزوا لهذا الإله عندهم بعضوى التناسل فى الرجل والمرأة .

(٢) هى أهم الشروح للكتب المقدسة فى الهندوكية ومعنى (مهارشى) الولى الكبير .

(٣) انظر الهامش الأسبق عن السيكية .

(٤) أحد مصلحى الهندوكية ، الذين ظهروا فى القرن الخامس عشر ، واختلطوا بالمسلمين ، ونادى بإصلاح الهندوكية وتخليصها من عبادة الأوثان ، والتفريق بين الطبقات .

الدينية اضطرابا عظيما ، ثم كان ماسوله له بعضهم من دعوى الاجتهاد المطلق ، وأنه صاحب دورة جديدة ، وأن عصر نبوءة «محمد» — صلّى الله عليه وسلم — قد انتهى إلى هذا الالف ، وبدأ عهد إمامة السلطان «أكبر»[1] فأعلن نسخ نبوءة محمد — صلّى الله عليه وسلم — وانتهاءها ، وفاتحة عصر جديد للسلطان فيه الكامة النافذة والأمر المطاع .

وظهرت له فكرة التقريب بين الأديان ، ليتفادى الخلاف بين الديانات ، وحتى تجتمع الهند كلها تحت لواءٍ واحد وعلى دين واحد ، فلفق الديانات وابتكر مزيجا غريبا من الطقوس والعبادات والشعائر الدينية المختلفة :

فكان يعبد على طريق براهمة الهند ، ويتقلد الخيط علامة لهم ، ويواجه الشمس حين طلوعها تعظيما لها ، ويرطن بكلمات تقديس لها ، ولم يزل — بتأثير محيطه — يتباعد من الدين الإسلامى ، ويتقارب ويمتزج بالبراهمة خاصة ، حتى نشأ عنده شبه عناد للدين الإسلامى وبغض له ولشارعه ، فكان يسوءه أن يسمى أحد فى بلاطه ابنه محمدا ، وحرم ذبح البقرة فى طول الهند وعرضها ، وأباح الخمر والخنزير ، وأصبح الإسلام غريبا مطاردا فى بلاد استمرت فيها الحكومة الإسلامية خمسة قرون ، فى عهد رجل يتسمىٰ بالاسلام وينحدر من سلالة مسلمة ، لها غيرة على الإسلام .

وهكذا اتجهت الهند كلها إلى الإباحية والكفر ، وكادت جهود القرون المتطاولة تضيع سدى ، إذ كانت المسألة أكبر من انحراف

---

(١) اختار « أكبر » كثيرا من عادات الهندوس وطقوسهم الدينية ، وكثيرا ماتكون هذه الطقوس ذات طابع غريب .

فردى ، وإنما كان انحراف دولة من أعظم دول الأرض آنذاك ، على رأسها رجل من أكبر ملوك العصر ، وظل الأمر كذلك حتى كانت حركة الإصلاح التى قادها الشيخ «أحمد بن عبد الأحد السرهندى» واتصل برجال البلاط الملكى وأركان الدولة آنذاك ، وحاز ثقتهم واستنهضهم لخدمة الإسلام ، حتى توفى ١٠٢٤ هـ .

وكان قد تغير اتجاه الدولة بعد وفاة «أكبر» ، وجاء عهد حفيده السلطان الصالح «أورنك زيب» عالم كير .

وقام فى القرن السالف مصلح كبير فى «بنكال» اسمه «رام موهن رائى» قرأ القرآن ، وتعلم العربية ، والفارسية والتكريتية وبرع فيها ، ولما شاهد أن دين البراهمة لايتمكن من مقاومة تيار التعليم الحديث ، الذى يكاد يجرف البقية الباقية من حضارتهم أسس دينًا جديدًا سماه «برهمو سماج» .

وأكثر تعاليم هذه الطائفة من التوحيد ، والمساواة ، ونكاح الأيامى ، وغيرها مقتبسة من الإسلام ، وقد قامت سنة ١٨٣٣ م ، وبدينه يدين «طاغور» فيلسوف الهند ، وأكثر كبار رجال الهنادك فى بنكال .

وكذلك قام مصلح آخر «ديانند» فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فى شمال «البنجاب» ودعا بنى قومه إلى التوحيد ، والمساواة ، وأسس طائفة «آريا سماج» التى هى أشد أمم الهند عداوة للذين آمنوا ، لكنهم مدينون للإسلام بدعوتهم للتوحيد والمساواة وإن كانوا يتنكرون له .

وكان أهم عنصر من عناصر التوفيق والتقريب بين الإسلام وديانة الهندوك كما يبدو هو العمل على محو الوثنية ،والقضاء عليها ، وذلك بانتحال نظرية وحدة الكون التي يدين بها بعض متصوفة الإسلام[١] .

وقد كان تأثر الهندوس بالمسلمين في شمال الهند أكثر منه في جنوبها ، لأن الحكم الإسلامي لم يصل للجنوب إلا متأخرا ، وكان الحكم الإسلامي يتبعه حتما الاختلاط الكثير بالمسلمين ، وتأثر الهندوس تبعا لذلك .

لذلك نجد جنوب الهند أعرق في عبادة الأوثان من شمالها[٢] . ويبرز الميجر «ج . د . باسو» سبب ذلك بقوله : (هذه الوثنية الشنيعة والاعتقاد بالخرافات الضاربان أطنابهما في جنوبي الهند إنما يرجع سببهما إلى انعدام نفوذ الحكومات الإسلامية لاغير) .

ماجت الهند بهذه التيارات كلها (وكانت معجزة الإسلام الكبرى فيها أنه لم يذب في دياناتها ، بل ظل على بساطته الموحدة ، وصلابته وسط ألوان متشابكة من الديانات ، التي تذهب إلى تعدد الآلهة ، وفي هذا دليل يشهد على ما يتصف به العقل الإسلامي من رجولة[٣]) .

فما هي قصة هذا العقل الإسلامي في الهند ؟ .

---

(١) انظر الشريعة والعقيدة ص ٢٥٧ لجولدزيهر.

(٢) ارتقاء القوة المسيحية في الهند ج ٢ ص ١٠٦ لميجرج . د . باسو من كبار مؤرخي الهند في العصر الحاضر ، نقلا عن تاريخ الإسلام في الهند للدكتور عبد المنعم النمر .

(٣) انظر قصة الحضارة . ول ديورانت ص ٤٠٧ .

الاسلام فى الهند (١)

كان أول عهد الهند بالإسلام بالجهود الفردية ، وفى أوائل عصر الخلفاء الراشدين ، فقد وفد إليها من الجنوب على يد التجار المسلمين من عرب وإيرانين ، أولئك الذين كانوا يرتادون شواطئها الغربية منذ أقدم العصور تحملهم إليها أمواج المحيط الهندى من جنوب شبه الجزيرة العربية والخليج .

وكان ذلك طريقه الأول إليها .

* * *

أما طريقه الثانى : فكان مع امتداد كتلته الزاحفة المتصلة فى غرب آسيا ، حيث دخلها من الشمال ، وكان أول خطواته فيها على أرض بلاد الهند (٢) الواقعة على شاطىء الهند الغربى الشمالى إذ بدأت الحملات فى عهد عمر بن الخطاب ، إلا أنه لم يتم له التوغل فى داخل البلاد آنذاك ، وإنما استتب أمره فيها واستقر حينما دخل «محمد بن القاسم الثقفى» فاتحا سنة ٩٢ هـ ذلك القائد الذى كان يناهز السابعة عشرة من عمره ، والذى وصل بزحفه إلى مدينة «الملتان» المقدسة ، التى كان يحج إليها الهنود ، فحطم مافى معابدها من أصنام وأوثان ، وظل يواصل غزوه حتى جنوب «البنجاب» .

---

(١) انظر : العالم الإسلامى المعاصر للدكتور جمال حمدان .
وتاريخ الإسلام فى الهند للدكتور عبد المنعم النمر ط . أولى .
وتاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند والباكستان للأستاذ مسعود الندوى ط . لجنة الشباب المسلم .

(٢) باكستان الحالية .

ثم وقفت الفتوح الإسلامية إلى أمد .

لكن وجودهم فى أرض السند والملتان وكشمير كان نقطة ارتكاز للدعاة المسلمين لنشر دعوة الإسلام فى البلاد الهندية .

* * *

ثم كان الطريق الثالث للإسلام إلى الهند حين طرق بابها من الحدود الشمالية الغربية ، المعروفة بممرها الجبلى الشهير بوعورة مسلكه وكثرة عقباته .

وكان طارق هذا الباب البطل الإسلامى ، «محمود الغزنوى» (٣٨٨ هـ - ٩٩٧ م ، ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م) وكان نزول الإسلام من هنا كاسحا ومغطيا سهول الهند الشمالية - السند ، والجانج ، حتى خليج بنغال شرقا ، ومشارف هضبة الدكن جنوبا - معفيا على البرهمية فى كل مكان يحل به ، واستمر ذلك حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، بتركيز مكثف لم يكد يترك ثغرة على الطريق .

* * *

وتتابعت حملات الملوك ، والقواد ، ورجال البأس والنجدة من الترك ، والأفغان ، والمغول ، وكان من أبرزهم شهاب الدين محمد (الدولة الغورية) الذى تمكن من مد الفتح الإسلامى جنوبا ، وجعل من مدينة « دلهى » عاصمة للهند الإسلامية سنة ١١٩٣ م .

ثم كانت دولة المغول أو الدولة التيمورية (٩٣٢ هـ – ١٥٢٦ م ، إلى ١٢٧٣ هـ – ١٨٥٧ م) ومؤسسها «بابرشاه» المسمى «ظهير الدين محمد بابر» وأمه وأبوه من أسرة « جنكيز خان» ونذكر منها السلطان الصالح « أورنك زيب عالم كير » أبا المظفر «محيي الدين محمد» الامبراطور المغولى المسلم ، الذى يعتبره المسلمون المثل الطيب للحاكم المسلم ، بينما ينتقصه الهندوس والأوربيون .

وقد كان حكم المغول عملاقًا ، لكن بعد وفاة أبي المظفر هذا ظل يتنقل من ضعف إلى ضعف ، حتى انطوت صفحته ، وانطوت بانطوائها صفحة الحكم الإسلامى فى الهند ، وكان ذلك على يد طارئ جديد وخطير هو الاستعمار الإنجليزى سنة ١٨٥٧ م .

زال هذا الملك العظيم على يد الإنجليز ، فأخذ وجه الحياة يتبدل ، وأخذ الإنجليز ينشرون لغتهم وثقافتهم ، ويوجهون معاولهم ضد الإسلام ، وعكف المسلمون على الحفاظ على دينهم وثقافتهم عما استطاعوا أمام هذا الطارئ اللدود .

حدث هذا بعد أن استظلت الهند براية الحكم الإسلامى ثمانية قرون ونصف قرن .

فماذا عن هذا الطارئ الجديد ؟ .

الفصل الثانى

الاستعمار الإنجليزى وآثاره فى الهند

الانجليز فى الهند (١) :

مع بداية عصر الاستعمار الحديث ، وبوجه خاص بعد الانقلاب الصناعى تعرض العالم الاسلامى للخطر الخارجى ، فى صورة أعتى مما عرف فى عصر الحروب الصليبية ، إذ لم يكن التلاقى الحديث تلاقى الأكفاء أو الأنداد ، وإنما كان العالم الإسلامى متخلفا ، وفى حضيض حضارى وسياسى ، وبدأت دوله تتهاوى ركنا بعد ركن ، وتتداعى بصورة كاشفة ، وقد بدأ الغزو الاستعمارى له من الباب الخلفى لأنه كان الأشد عجزا وضعفا ..

فسقطت جزر الهند الشرقية « أندونيسيا » فى القرن السابع عشر ، ووقعت الهند بين براثن الإنجليز ، فيما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فقد زحفوا إليها منذ سنة ١٧٠٥م بأخطبوط « الشركة الهندية الشرقية » الإنجليزية الاستعمارية ، ثم أقدموا على احتلالها عسكريا سنة ١٧٥٧ م وتتابع زحفهم واستعمارهم حتى شمل الهند جميعها ، وتركزت إدارتهم المباشرة فى منطقتى البنغال والبنجاب ، حتى كانت أحداث النصف الأول من القرن التاسع عشر .

---

(١) انظر (العالم الإسلامى المعاصر) و (باكستان بين ماضيها وحاضرها) و (كفاح المسلمين فى تحرير الهند) و (المسلمون فى الهند) و (القائد الأعظم محمد على جناح) .

مع القرن التاسع عشر :

مع نكبة الاستعمار هذه كانت الدولة الإسلامية فى الهند قد أصيبت بداءِ الدول ، وبما أصاب شقيقاتها فى الشرق كله ، من الترف والبذخ والفتن ، وكان ذلك على حساب الأُمة أَفرادا ومجتمعا ، فتيبست بداءِ الجمود والتقليد والخوف : عقول الناس ، وتنكرت الظروف للمسلمين ، واشتدت الضغوط عليهم ، متداعية من كل جانب من الداخل ، ومن القادمين من الخارج مع مطلع ذاك القرن .

فمن الداخل كانت محنتهم على يد « السيك » .

* * *

السيك ومآسيهم (١) :

كانت البنجاب – فى تلك الآونة – تحت حكم السيك امتلكوا ناصيتها وما جاورها قبل رسوخ أَقدام الإنجليز ، واستفحل أمرهم ، وزاد اضطهادهم للمسلمين قتلا وإرهابا ، حتى تجرءوا على تعطيل الشعائر ، وإغلاق المساجد ، وقويت شوكتهم وعصبتهم بعد ضعف الحكومة المغولية ، وضاقت البنجاب بالمسلمين على سعتها وارتفعت أَنات المضطهدين فيها ، حتى اخترقت حدود البنجاب .

حركات اسلامية :

وكان هذا الخطب وغيره – من خطوب حاقت بالمسلمين والإسلام– أَكبر من أَن يتصدى له إلا رجال باعوا أَنفسهم لله.وقد كان . . ومن

---

(١) انظر تاريخ المسلمين فى الهند ، وتاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند والباكستان.

علمائهم ممن وصلوا جهادهم بجهاد سلف صالح لهم ، ووجهوا عنايتهم بالشعب مباشرة إصلاحا وتربية ، نذكر من روادهم :

الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى المولود (١١٧٦ هـ) والمشهور بالشيخ «ولى الدين» وهو أحد حكماء الإسلام ونوابغه ، وكبار مفكريه :

وقد لاحظ : أن عقيدة كثير من المسلمين قد لابستها غيوم الجهالات ، فكان لابد من إبراز التوحيد فى نقائه .

وأن الشعب مبتوت الصلة بكتاب ربه ، وسنة نبيه ، فهما وعملا ، فكان لابد من تجديد العهد بهما .

وأن العالم الإسلامى يستقبل عصرا عقليا ، وثورة فكرية ، فكان لابد من إيضاح الإسلام ومناهجه وجلاء فكرته .

وعلى أثره سار السيد الإمام «أحمد بن عرفان الشهيد» فى الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجرى ، فدعا الناس وصحبه إلى الدين ، وحارب الشرك والبدع ، وقام بجولات واسعة فى الهند ، كان لها أثرها فى رد الناس إلى ربهم ، وذودهم عن غواياتهم ، وبعد عودته من الحج تتابعت الأخبار بمحنة المسلمين فى البنجاب على أيدى السيك – كما أشرنا من قبل – فنادى بالهجرة والجهاد فى سبيل الله ، ونشبت المعارك الحامية ، واضطرمت نيران الحرب بينه وبينهم زهاء أربع سنوات ، كان النصر فيها حليفه والمجاهدين معه .

ولكن قضت عليهم رياح الأَهواء، التى هبت من بعض رؤساء القبائل الأَفغانية ، ثم كان قتله فى معركة بينه وبين السيك، ومع أَن هذه الحركة الشاملة لم تنجح فى إقامة نظام الإسلام ودولته إلا أَنها نجحت فى إيقاظ الوعى الإسلامى، وأَذكت فى قلوب المسلمين قبس الجهاد، حتى انتسبت إليها كل الحركات الدينية الخالصة ، والنهضات المستقيمة الراشدة التى سارت على خطاها بعد .

مع الثورة الكبرى ١٢٧٣ هـ ١٨٥٧ م :

بينما كانت حركة التجديد والجهاد سائرة بتؤَدة داخل البلاد ، تحت ظلال ثقيلة من كابوس الاستعمار ومحنه انفجر بركان الثورة فى الجيش الهندى ضد الإنجليز ، بعد فظائع لا تطاق ، وكاد الثوار — وفى طليعتهم المسلمون — أَن ينجحوا ، لكن استطاع الإنجليز أَن يقضوا عليها ، وعلى الثائرين ، بكل عنف ، وتتابعت النكبات ، وتمكن المستعمر ، وأَقام نظاما لحكم البلاد يعتمد على مئات من الخبراء ، يؤَازرهم جيش صغير، وعلى اصطفاء عناصر تدين لهم بالولاء السياسى والفكرى .

وجعل المستعمر نصب عينه القضاء على البقية الباقية ، وعلى كل أَثارة من الحمية فى قلوب المسلمين بكل وسيلة ، فأَبعدوهم عن مناصب الحكم والوظيفة ، وأَقاموا نظاما للتعليم لايوافق طبيعة المسلمين ولا ثقافتهم .

وبجانب هذا كله استقدموا طوائف المبشرين ملأوا بهم الأرجاء ، يسرقون عقائد الناس ويزلزلون نفوسهم بالشكوك والريب ، وكانت معارك حامية ، تلظى المسلمون بنارها فى المجال العسكرى والمجال الفكرى .

الغزو الفكرى :

وقد واكب هذا كله — الغزو العسكرى والاقتصادى والسياسى من الخارج ، والضغوط المتخلفة والناقمة من الداخل — لون آخر من الغزو هو الغزو الفكرى .

ذلك أنه بفشل الثورة وتبعية الهند للإنجليز استولى اليأس على نفوس المسلمين ،وهاجر كثير من العلماء إلى الحجاز ،وضعفت روح المقاومة ، وأخذت ثقافة المستعمر ولغته يعملان عملهما فى تطوير وصبغ الحياة الفكرية والاجتماعية فى الهند .

ووقف أكثر المسلمين وعلى رأسهم علماؤهم ينظرون إلى هذا التطوير نظرة مريبة ، حريصين على ماهم عليه ، رافضين كل مايأتيهم من جانب المستعمر ، تدفعهم نية طيبة وخوف من إفساد يفد مع الاستعمار فى كل مكان .

كان المبشرون يفتتحون المدارس فيقاطعها المسلمون ، ثم هم لايفتحون بديلا منها ، بينما الهندوس يسارعون إليها ، ويتخرجون منها ويشغلون المناصب ، وكانت النتيجة أن عزل المسلمون ونحوا عن الحياة .

وانبث القسس والمبشرون فى القرى والمدن ، ونشطوا فى دعوتهم علنا إلى المسيحية ، مشنعين على العقيدة الاسلامية، معلنين شامتين زوال دولة الإسلام وانقضاء عهده .

وأمام هذه الفتن أحصر المسلمون ، ولم يجدوا متنفسًا إلا فتح مدارس عربية ومعاهد دينية ، ليحفظوا للأجيال دينهم وثقافتهم ، ويخرجوا دعاة وعلماء يتصدون لهذه التيارات ، ويعيدون الثقة إلى النفوس والإيمان إلى القلوب ، ويصدون هذا الانحسار والتراجع ، ولم يعدموا المشاعل فى وسط هذا الظلام ، فمع ما أقامه الاستعمار من سدود وحواجز أمام المد الإسلامى ، أثقل به خطواته ، فإنه لم يستطع أن يشل حركته تماما ، ومع ماقام به من مؤامرات القمع والارهاب ، ومع ما أثاره من معارك أدخل فيها الاسلام والمسلمين فى صراعات متعددة ، وفتح جبهات شتى ومعادية ، فإن الإسلام كالعهد به دائما لم يعرف أى ارتداد عقائدى ، بمعنى التحول عنه إلى غيره ، وإن عرف الزوابع تثار من حوله ، والأشواك تنثر فى طريقه ، فى أكثر من مرحلة ، وفى أكثر من جهة .

ولقد عمقوا عن عمد الصراع الدينى بين المسلمين وغيرهم من الطوائف كالهندوس ، مما أدى إلى إبطاء الزحف الإسلامى ، الذى كان منطلقا فى شبه القارة .

ولقد أثاروا الشبهات وفتحوا جيوبا مريبة ، وزرعوا خلايا فى جسم الأمة الإسلامية أشبه ماتكون بالخلايا السرطانية ، قصدوا من ورائها إلى عملية زحزحة وتشكيك وتضليل ، لم يكن لها من علاج إلا أن تبتر من جسم الإسلام ، على رغم أنها نمت فيه وانتسبت إليه .

وكان ذلك كله من وسائلهم لإضعاف المسلمين وشغلهم ، بتوجيه وتشتيت الفكر الإسلامى فى عدة تيارات ينم كل منها عن هدف لهم مقصود .

فتيار يسير فى اتجاهه بعض مفكرى المسلمين بدعوى حركة تقدمية ، تبغى بطريق غير مباشر مساعدة المستعمر ، وإقرار سلطانه ، وعدم تحديه ومعارضته ، سواء فى مباشرته سلطته على المسلمين ، أو إدخاله مايسمى بنظم الإصلاح الحديثة بينهم ، وبخاصة فى مجال التعليم .

وتيار يقوم به بعض الغربيين المسيحيين بإبراز الخلافات المذهبية بين طوائف المسلمين أنفسهم ، بعضهم مع بعض ، وبينهم وبين مواطنيهم من أرباب الملل والنحل الأخرى ، لتعميق الهوة وفصم عرى الوحدة الوطنية .

وتيار يأخذ طابع الدين والعقيدة ، ويأتى للإسلام من داخله بالتأويل الفاسد ، والدعاوى الكاذبة والحشو المضال ، وتحويل المسلمين عن وجهتهم إلى مسارب مظلمة ، ومتاهات مشغلة تصرفهم عن عدوهم المتربص ، إلى معاداة أنفسهم ودينهم ، ومسخ شخصيتهم .

ومن البدهى أن مجال الدين — كل الدين — موطن حساسيات دقيقة وحماسات مرهفة ، لها جميعا ظلالها وتأثيراتها وانعكاساتها التى يمكن أن ينميها ويستغلها أصحاب المصالح ، والسلطان ، وصناع السياسة ، من المستعمرين والمنتفعين من ورائهم لأغراضهم المباشرة والبعيدة .

ومن هنا نرى :

صدام المستعمرين الإنجليز مع الإسلام سياسيا ، وعسكريا ، وفكريا ، يهدفون من ورائه القضاء عليه من خارجه بحصاره ، ومن داخله بتشويه معالمه ، وتحويله إلى ألوان شتى وهزيلة ، يبحثون خلالها وفى ظلها الحالك عن دين جديد للهنام ، وشخصيات للقيام بدور الأنبياء لهذا الدين الجديد .

ويصور لنا السير سيد أحمد خان — وهو معروف بميوله وتعاطفه مع الإنجليز — هذه الاتجاهات الاستعمارية الصريحة والمشبوهة فيما يقول[1] :

لقد تيقن أهل الهند أن الإنجليز سيحولونهم إلى النصرانية متخذين من التجويع والإذلال وسيلتهم إلى ذلك كما فعلوا مع اليتامى الذين فقدوا آباءهم فى مجاعة سنة ١٨٣٧ م .

وكان القسيسون المبشرون يتقاضون مرتباتهم من الشركة وكبار الموظفين من الإنجليز يستغلون مراكزهم فى تحسين المسيحية لصغار موظفيهم ، الواقعين تحت سيطرتهم ، كما كانوا يجمعونهم فى بيوتهم بالقسس ، يحاولون التأثير عليهم وجذبهم للدين المسيحى .

ويأتون بالشبهات والشكوك ليزلزلوا عقائدهم ، وبلغت هذه الدعاية أقصى حد لم يعد الموظفون الهنود يأمنون على دينهم .

---

(١) ملخص من كتاب أسباب ثورة الهند ص ١١ — ٢٣ السير سيد أحمد خان نقلا عن تاريخ الإسلام فى الهند للدكتور عبد المنعم النمر ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ .

وكان المبشرون يوزعون الكتب مجانا ، وهى محشوة بالطعن على أديان أهل الهند وزعمائهم الدينيين كما كانوا يذهبون إلى اجتماعات المسلمين والهندوس فى حماية البوليس ، ويأخذون فى تحقير عقائدهم دون مبالاة ، والناس يسمعون كل هذا وتثور نفوسهم ويخشون سطوة البوليس .

ونشط المبشرون كذلك فى فتح المدارس التبشيرية بعون الشركة يعلمون فيها الدين المسيحى حتى اعتقد الناس أن الغرض من فتح هذه المدارس أن تكون شبكة لاصطياد أولادهم وتنصيرهم ، وكانوا يمتحنون الطلاب فى الكتب الدينية المسيحية ويسألون الصغار : من ربكم ؟ ومن ينجيكم ويفديكم ؟ ولا ينجح إلا الطالب الذى يجيب حسب عقائدهم ، ثم يعطون الجوائز .

وفتحوا بجوار ذلك مدارس للبنات وزادوا على طريقة تعليمهم توجيهاتهم للطالبات برفع الحجاب ، وهو شىء حساس بالنسبة للمسلمين فى الهند ، فاعتقد الناس أن الإنجليز يجتهدون بكل سبيل للقضاء على دينهم وتقاليدهم ، حتى إنهم سموا الهنود الذين اشتركوا مع الإنجليز فى هذا الأمر بالقسس السود ، وقد كانت الوظائف الصغيرة التى تركت للهنود لايمكن الحصول عليها إلا بشهادة من هؤلاء القسس .

وفوق ذلك تلقى موظفو الحكومة خطابات ، ولعلها منشورات من أحد القسس الكبار يلح فيها عليهم باعتناق الدين المسيحى .

ولهذا كله فهم الشعب أنها خطة موضوعة لتنصيره » .

وقد كان رد المسلمين على ذلك كله كما سبق أن أصبحت نغمة الجهاد ضد الإنجليز على كل لسان ، وشغل كل عالم ، وأصبحت المنشورات تكتب وتوزع والناس من العلماء وغيرهم يطوفون بالمدن والقرى لهذا الغرض .

وكان قمع الإنجليز لهذه الثورة من العنف والفظاعة إلى حد قول لوردماكللو : (ماسمعت وماشاهدت مثل هذه المظالم والأعمال السيئة والفساد) وقد بلغت بهم الوحشية إلى حد أن يتبادل بعض قادتهم وحكامهم « نكلسون » إلى الكتابة « أدوارد » فيقول : علينا أن نسن قانونا يبيح لنا إحراق الثوار ، وسلخ جلودهم وهم أحياء ، لأن نار الانتقام التى تأججت فى صدورنا لا تخمد بالشنق وحده) .

«ونكلسون» الذى كتب بقلمه هذا الاقتراح ، هو نفسه الذى كتب أيضا يمتدح أسرة «مرزا غلام أحمد قاديانى» ويقول : (إن فى قاديان تسكن هذه الاسرة التى وجدنا فيها دون جميع الأسر الوفاء للانكليز) .

وفى البنجاب القلب الدامى ، وفى قرية «قاديان» من هذا الإقليم الجريح كان مولد «مرزا غلام أحمد» ومولد القاديانية على يديه ، وفيما نستقبل من صفحات نتعرف عليه وعلى دعواه .

* * *

الباب الثاني

شخصية القادياني ودعواه

---

* الفصل الأول : شخصية مرزا غلام أحمد القادياني . .

* الفصل الثاني : مجالات نشاط القادياني في سبيل دعواه . .

* الفصل الثالث : مراحل القاديانية وتطوراتها . .

* الفصل الرابع : دعوى النبوة . .

* الفصل الخامس : مضمون دعوى النبوة . .

الفصل الأول

شخصية مرزا غلام أحمد القاديانى

موطن ولادته :

فى اقليم « البنجاب » وعاصمته لاهور ، ويدين أكثره بالإسلام ، وكان يقع آخر أيامه فى أيدى الملوك الإقطاعيين من طائفة السيخ الذين كانوا قد استولوا عليه فى فجر القرن التاسع عشر .

وفى إحدى مديريات هذا الإقليم ، وتسمى « غوردا سفور » على بعد ٦٠ ميلا من « لاهور » وفى إحدى قرى هذه المديرية وتسمى « قاديان » ولد[1] مرزا غلام أحمد .

اسرته :

ولد مرزا غلام أحمد عام (١٢٥٢ هـ — ١٨٣٩ م) فى آخر عهد حكومة « السيخ » من أسرة نزحت قديما من « سمرقند » واستوطنت قرية « قاديان » ، وهذه الأسرة تنتمى إلى الترك ، إلى السلالة المغولية منهم ، سلالة « تيمورلنك » ، إلا أن « غلام أحمد » بعد أن يقر هذا النسب ، نقلا عن آبائه ، يعدل عنه بوحيه المزعوم — إلى

(١) لفظ « ميرزا » فارسى يلقب به الأشراف ، ومعناه : السيد .

الانتساب للفرس ، ويضيف إليه انتساب بعض أمهاته إلى الفاطميين فيقول :

(قرأت فى كتب سوانح آبائى ، وسمعت من أبى : أن آبائى كانوا من الجرثومة المغولية ولكن الله أوحى إلىَّ : أنهم كانوا من بنى «فارس» لامن الأقوام التركية .

ومع ذلك أخبرنى ربى بأن بعض أمهاتى كنَّ من بنى الفاطمة ، ومن أهل بيت النبوة ، والله جمع فيهم نسل إسحاق وإسماعيل ، من كمال الحكمة والمصلحة[1]) .

ثم يعدد آباءه على النحو التالى :

(فاعلموا – رحمكم الله – أنى أنا المسمى : بغلام أحمد ، بن مرزا غلام مرتضى ، بن مرزا عطا محمد ، بن مرزا كل محمد ، ابن مرزا فيض محمد ، بن مرزا محمد قائم ، بن مرزا محمد أسلم ، ابن مرزا دلاور بيك ، بن مرزا الله دين ، بن مرزا جعفر بيك ، ابن مرزا محمد بيك ، بن مرزا محمد عبد الباقى ، بن مرزا محمد سلطان ، بن مرزا هادى بيك[2] » .

وكانت هذه الأسرة من الغنى بمكان كبير ، وآلت بها الحال إلى الخمول والفاقة ، إذ كان جده «المرزا كل محمد» صاحب قرى وأملاك ، وصاحب إمارة فى بنجاب ، تبلغ خمسًا وثمانين قرية فى عهد الحكومة المغولية ، وقد خسرها جده «المرزا عطا محمد» فى

(١ ، ٢) الاستفتاء ص ٧٥ .

حرب دارت بينه وبين السكة فدمروا له أملاكه وطردوه وأسرته من مستقرهم « قاديان » ثم أذن لهم « رنجيت سنج » بالرجوع إليها عام ١٨١٨ م لقاء خدمات عسكرية قدمها لهم « مرزا غلام مرتضى » والد « غلام أحمد » ، وبقيت لهم خمس قرى من هذا التراث الكبير حتى كان عهد الدولة البريطانية ، فأعادت لأبيه بعض القرى مما استجلب ولاء الأسرة لهم يقول : (ثم ردّ اللهُ إِلَى أَبِي بَعضَ القرَى فِي عَهدِ الدولةِ البريطَانِيةِ[1]) .

وبهذا وبما توسمته فيهم الدولة البريطانية من استجابة لها ، وتعاون معها ، ارتبطت هذه الأسرة بالولاء والإخلاص المبكر للإنجليز ، وعرفت بذلك ولا ينكر هو هذا الولاء ، بل يفخر به ويقول :

(لقد أقرت الحكومة بأن أسرتى فى مقدمة الأسر التى عرفت فى الهند بالنصح والإخلاص للحكومة الإنجليزية ، ودلت الوثائق التاريخية على أن والدى وأسرتى كانوا من كبار المخلصين لهذه الحكومة من أول عهدها ، وصدق ذلك الموظفون الإنكليز الكبار) .

ويقرر هذا الولاء ولو على حساب وطنه وأبناء دينه فيقول :

(وقد قدم والدى فرقة مؤلفة من خمسين فارسًا لمساعدة الحكومة الإنجليزية ، فى ثورة عام ١٨٥٧م وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة) .

---

(١) انظر التبليغ ص ٧٦ .

ويمتد هذا الولاء بعد أبيه ويقرره بقوله :

(وكان أخى الأكبر « غلام قادر » بجوار الإنجليز على جبهة من جبهات حرب الثورة[1]) .

وسنعرف دوره هو فيما بعد :

نشأته وتربيته :

فى هذه الأسرة ولد «مرزا غلام أحمد» لوالد كان يحترف الطب القديم فى عهده ويجيده ، ولما بلغ مرزا سن التعليم شرع فى تلقى مبادىء العلوم ، وقراءة القرآن الكريم ، وتعلم اللغة العربية فى مكتب القرية ، وفى داره .

وكان من أساتذته : فضل إلٰهى ، وفضل أحمد ، وكل على شاه ، كما درس له أبوه الطب القديم .

وقرأ بعض الكتب الفارسية ، والكتب المتوسطة فى المنطق ، الحكمة ، والعلوم الدينية ، والأدبية .

وقد عُرف أيام تعلمه بالعكوف على المطالعة والانقطاع إليها ، وإجهاد النفس حتى أشفق أبوه على صحته .

(١) كتاب البرية ـ الاعلان المؤرخ ٢٠ من سبتمبر سنة ١٨٩٧ ص ٣ ، ٥ ، ١٤٦ نقلا عن القاذيانى والقاديانية ص ١٩ ، ٢٠ .

وفى شبابه كان له ولع بمطالعة العلوم الدينية ، ولم يدرسها على يد معلم ، فطالع فى كتب التفسير والحديث ، وأولع بمطالعة الأسفار القديمة من كتب الشيعة ، وأهل السنة ، وكتب الأديان الأخرى .

هذا ، فضلا عما أفاده فى معاركه الكلامية ، وجدله ومناظراته مع خصومه ، ومساجلاته بالخطابة والكتابة والتأليف .

زواجه وذريته :

لما بلغ من العمر أربعة عشر عاما تزوج زواجه الأول سنة ١٨٥٣م من أسرته ، ورزق من هذا الزواج بولدين : المرزا سلطان أحمد ، والمرزا فضل أحمد ، ثم طلق هذه الزوجة عام ١٨٩١م .

وتزوج زواجه الثانى عام ١٨٨٤م فى « دلهى » وكان عمره إذ ذاك خمسا وأربعين سنة ، وأتباعه يلقبون هذه الزوجة الثانية (أم المؤمنين) وقد ولدت له بقية أولاده ومنهم : خليفته الحالى « المرزا بشير الدين محمود » ، ومنهم : « المرزا بشير أحمد » صاحب كتاب « سيرة المهدى » ، و « المرزا شريف أحمد » .

* * *

وفى عام ١٨٨٨م — وكانت سنه إذ ذاك تسعا وأربعين سنة — تنبأ بأنه سيتزوج الفتاة « محمدى بيكم » وهى من أسرته ، وأخبر أنه أمر قد قضى فى السماء ، ونبأه الله به مرارا وتكرارا — على حد زعمه — وتحدى بذلك العالم .

لكن الفتاة تزوجت بشاب آخر ، وعاشت وزوجها بعد وفاة (مرزا غلام أحمد) مدة طويلة ، وكان ذلك الأمر من الأحداث الهامة فى حياته ودعواه[١] .

حياته العملية ومعيشته :

بدأ حياته فى تقشف وزهادة وبؤس وفقر وخمول ، وعلى ندرة ما كان يتاح للمسلم من وظيفة حكومية ، فإنه قد حصل وهو فى سن الخامسة والعشرين على وظيفة فى محكمة حاكم المديرية فى مدينة « سيالكوت » بمرتب يساوى خمس عشرة روبية – وهو مبلغ ضئيل – وبقى فى هذه الوظيفة أربع سنوات من عام ١٨٦٤م إلى عام ١٨٦٨م .

وفى أثناء الوظيفة قرأ بعض الكتب بالإنجليزية ، ودخل فى اختبار للحقوق ، وأخفق فيه ، ثم استقال من هذه الوظيفة ليشارك والد فى المحاكمات والقضايا التى كان مشغولا بها .

وبعد وفاة أبيه لم يكن يهمه من الحياة إلا لقمة العيش ، يحكى عن هذه الفترة من حياته الأولى فيذكر حاله فيها : (ألا ترون أنى كنت عبدا مستورا فى زاوية الخمول ، بعيدا عن الإعزاز والقبول ، لا يومأ إلى ولا يشار ، ولا يرجى منى النفع ولا الضرار ، ماكنت من المعروفين[٢]) .

---

(١) انظر : القاديانى والقاديانية للأستاذ أبى الحسن الندوى ص ١٠٢ .

(٢) الاستفتاء ص ٢٥ .

تطورمعيشته بعد ظهوره بدعواه :

بعد ظهوره بدعواه التى إدعاها تطورت حياته ومعيشته عن طريق تبوئه الزعامة الدينية على أتباعه ، وفتحت عليه أبواب المال والغنى ، وأقبلت عليه الدنيا بصورة مترفة من جيوب الفقراء ، وأوساط الناس ، الذين خُدِعوا به ، ومن مصادرَ أُخرى . . .

ويشير إلى هذا التطور فى حياته فيقول : (ولكن الله الذى يرفع الفقراءَ من الحضيض قد أخذ بيدى ، وأنا أُؤكد أن ما جاءنى من الوارد ومن الإعانات والتبرعات إلى هذا الوقت — حتى عام ١٩٠٧م — لايقل عن ثلاثمائة ألف روبية وربما يزيد على ذلك ، وانثالت علىّ الهدايا كأنها بحر تهيج فى كل آن أمواجا . . . يأتوننى من كل فج عميق بالهدايا وبكل مايليق . . . . وكذلك تأتى لهذا العبد من كل طرف تحائف وهدايا ، وأموال ، وأنواع الأشياء)[١] .

وكان أن توسع فى المطاعم والمشارب والأبنية ، وعُنى بتناول الأطعمة المغذية والأدوية ، والمعجونات الثمينة ، يتقوى بها ، واستعمال المسك والعنبر ، بل كان يتعاطى فى بعض الأحيان بعض أنواع المشروبات المقوية المسكرة .

ولقد بلغ من الترف والبذخ والتصرف فى الأموال والواردات تصرفا مطلقا جدًّا أثار النقاش بين صفوة أصحابه ، وتلامذة دعواه

---

(١) انظر الاستفتاء ص ٢٥ .

المقربين فهذا هو الخواجة[1] « كمال الدين » الداعية الكبير المشهور ، الذى عرفته أوربا ، يبلغ به الحنق على هذه التصرفات أن يشكو بثه وحزنه إلى صديقه « الأستاذ محمد على اللاهورى » — أمير الجماعة الأحمدية اللاهورية فيما بعد — والشيخ «سرور شاه » القاديانى — وكانوا جميعا فى رحلة — فيقول :

(كنا نُحدث نساءنا وبناتنا على اقتداء أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم — ونسائه فى الزهد والقناعة ، فإنهم كانوا يلبسون الخشن ، ويأكلون الجشب ، ويوفرون من أموالهم ماكانوا ينفقونه فى مصالح المسلمين ، وكنا بهذه المواعظ والتحريضات نقتطع من أموالنا مانرسله إلى « قاديان » .

ولكن لما سافرت أزواجنا وبناتنا إلى « قاديان » وبقين هناك مدة ، يرين كيف تعيش السيدات هناك ثرن علينا وكذبننا ، وقلن : لقد رأينا كيف يعيش النبى وأصحابه وزوجاته فى قاديان . (كذا) ، إن النعيم الذى يعيشون فيه ، وإن البذخ الذى يسود هناك ، لانتمتع به ولا يبلغ عيشنا معشاره ، مع أن أموالنا من كسب أيدينا ، وما يأتيهم من المال هو للأمة وللأغراض الاجتماعية ، وأنتم خدعتمونا ، وكذبتم علينا ولكنا لا نَنخدع بعد اليوم .

وقد منعن المال الذى كن إياه لنرسله إلى قاديان) . وذكر الخواجة « كمال الدين » بعض القماش والحلى الذى اشتراه المرزا لزوجه وبناته .

---

(١) كشف الاختلاف للشيخ سرور شاه القاديانى ص ١٣ ، نقلا عن القاديانى والقاديانية ص ٨٠ ومابعدها .

ـواعترض الدكتور عبد الحكيم – وهو قادياني يومئذ – على تصرفات المرزا الحرة فى أموال المسلمين ، وذكر أنه يكتتب ، ويجمع الإعلانات لطبع الكتب ، ويحصل الأموال من أتباعه بأنواع من الحيل ، وينفقها كيف يشاء .

وقد قال الخواجة « كمال الدين » مرة لمحمد على : (إن من الظلم المبين أن هذا المال الذى يكتسبه فقراء المسلمين بكد اليمين ، وعرق الجبين ، ويشحون به على نفوسهم وبطونهم لينفق فى المصلحة الاجتماعية ، يضيع فى الشهوات والأغراض ، ولقد جاءت المرزا فى اليوم الأخير من حياته رسالة من الأستاذ « محمد على » ـمترجم القرآن بالانجليزية – يسأل فيها عن المال الكبير ، الذى يجنى ولا ينفق منه على الضيوف والمطبخ العام إلا القليل ؟. . . .

فغضب المرزا وقال : انهم يرمونني بأكل السحت ، وأكل أموال المسلمين . مالهم ولهذه الأموال ؟ فإنى إذا اعتزلت انقطعت هذه الأموال وتوقفت الإعانات) .

يعنى أنها لا تأتى إلا لشخصه .

ويقول الخواجة كمال الدين لمحمد على مرة : (إن حضرة المرزا يحثنا على التوفير والانفاق فى سبيل الدعوة وهو يعيش فى بذخ وترف . . .

فقال له محمد على : (إننى لا أستطيع أن أنكر هذا ، ولكن لا يلزمنا أن نتبع النبى فى بشريته)[1] .

هذا فضلا عن الدعم المادى والأدبى الذى أمدته به الحكومة الانجليزية ، هو وأتباعه من بعده ، إذ كانوا يظفرون بنصيب الأسد ، من المناصب فى الجنود والشرطة والمحاكم وسائر دوائر الحكومة ، من عامة المناصب التى كانت مخصصة للمسلمين كافة ، وكذلك فى كل النواحى الاقتصادية كالتجارة والصناعة والزراعة ويقول : (لقد بالغت هذه الحكومة — أى البريطانية — فى الإحسان إلينا ولها عندنا أياد وأى أياد)[2] .

وإذ نعرض هذه الصورة نستحضر مواقف لسيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خاتم الأنبياء والمرسلين ، نستحضرها لا من باب المقارنة بين نبوة صادقة وأدعياء كاذبين ، ولكن نستحضرها استشفافا لأفق النبوة السامق ، الذى يتراءى من الذرا للنفس الإنسانية غير محجوب بأستار المادية ، والحس الثخين ، أفق لا يتسنى لعبيد أنفسهم ، الذين تلفهم حجب الحس ، وتغشاهم أنانية النفس ، فيدورون حولها كما يدور الحمار فى الرحى .

« لقد عرض عليه خصومه — صلى الله عليه وسلم — أن يعطوه المال الوفير وهو من المال قل ، وأن يقيموه ملكا عليهم فى وقت بدأت قريش تكشر له ولأصحابه — القلة المؤمنة — عن أنياب الأذى

(١) ، (٢) الملفوظات الأحمدية ج ١ ص ١٤٦ نقلا عن المسألة القاديانية .

والتعذيب ، وأن يزوجوه من أجمل فتياتهم من أراد ، على أن يدع أو يكف عن مبادئه .

وهو عرض فى تفاصيله ينبثق من أذهان قوم آمنوا بالحس وحده ، وصيغت بواعثهم بالمادية الصارخة ، ولو أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان منبعثا إلى دعوته بمؤثرات حسية ، أو أهداف مادية ، لا لتقى معهم على كلمة سواء ، ولوجد فيما يعرضون عليه ما يختصر له الزمن ، ويوفر عليه الجهد ، ويرضى رغبته فيما يريد ، ولكنه أجابهم تلك الاجابة الرائعة : (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه) تلك الإجابة التى تنبثق من ذهن غير أذهانهم وتقدير غير تقديرهم .

قد يقول من له لجاجة الحس والمادة فى تفسير العظام من الأمور : لعله — صلى الله عليه وسلم — كان يبغى مالا أوفر يأتيه من اتساع دعوته ، فرفض ما عرضوا عليه انتظارا لما سيأتى به نجاح الدعوة من الحظوظ المرموقة ، فهل يمكن أن يقوم هذا الاحتمال — ولو جدلا — ونحن نراه — صلى الله عليه وسلم — فى المدينة ، وقد أتته الأموال وانصبت بين يديه على حصير المسجد ، فكان يفرقها لساعته ، حثوا بيديه فى حجور الناس ، ثم يقوم والحجر مربوط على بطنه ، ويمر الهلال والهلال والهلال وما توقد فى بيته نار ، ثم يلحق بالرفيق الأعلى ودرعه مرهونه عند يهودى على حفنات من شعير . !

هذا أفق النبوة الصادقة ، أفق الاعتزاز بملكوت القيم الروحية إلى الحد الذى يزرى بملك الشمس والقمر)[١] .

لا أفق الاستغراق فى الحس وحمأة الأنانية ، ومنطق : هذا لى ، وإنما أوتيته على علم عندى .

وفاته ـ مايو سنة ١٩٠٨ م :

من مجالات التحدى التى أكثر منها لكل من عارضه كان تحديه عام ١٩٠٧م للعالم المشهور مولانا « ثناء الله الأمر تسرى » بنوع ن المباهلة إذا نبنى التحدى على أن الكاذب المفترى من الرجلين يموت قبل الآخر ، ودعا الله تعالى أن يقبض المبطل فى حياة صاحبه ، ويسلط عليه داء مثل الهيضة والطاعون يكون فيه حتفه .

وفى شهر مايو سنة ١٩٠٨ م أصيب المرزا بالهيضة الوبائية ، وهو فى « لاهور » واعترف بذلك لصهره « النواب ناصر » ، وأعيا الداء الأطباء ، ومات فى الساعة العاشرة والنصف صباح اليوم السادس والعشرين من الشهر المذكور ، ونقلت جثته إلى « قاديان » حيث دفن فى المقبرة المسماة بـ « مقبرة الجنة » وخلفه الحكيم نور الدين ، بعد حياة امتدت قرابة تسع وستين سنة ، ملأ بها بيئته كلاما وحجاجا وخصاما ، ودعاوى لا طائل وراءها إلا بلبلة فى أفكار من انخدعوا به وتابعوه على ترهاته .

---

(١) منهج الدعوة للأستاذ البهى الخولى .

من معالم شخصيته :

الناظر لصورته التى تستفتح بها كتبه ، يرى صورة رجل مضنى ، ذى جسم معلول تظلله سحابة من الكآبة ، والبلاهة ، والانقباض ، تشع من عينيه نظرات غامضة زائغة .

فقد نشأ جانحا إلى العزلة ، منقبضا عن الناس ، اتسمت حياته فى أولها بالبساطة ، وخشونة العيش ، والزهد مع بلادة فى الذهن ، وشرود وغباء لا يحسن معه تمييز يمنى حذائه من يسراها ، حتى اضطر لوضع علامة عليهما بالحبر لتمييزهما .

وكان يضع أحجار الاستجمار – التى تشتد حاجته إليها لداعية كثرة التبول – يضعها مع أقراص القند التى كان مغرما بها فى مخبإ واحد .

وقد أصيب فى شبابه بمرض هستيريا ، كان يسميها أحيانا بهستيريا ، وأحيانا بالمراق ، كما كان مصابا بنوبات عصبية عنيفة يغمى عليه فى بعضها ، ويخر صريعا ، كما أصيب بداء البول السكرى ، فضلا عن صداع مصحوب بآلام شديدة ظلت تلازمه حياته ، وكان دائم الشكوى منها .

بهذا الجسم المعلول ، والعقل السقيم ، شب وهو يسمع الأقاويل عن كرامات أبيه المزعومة ، والتى كان منها : أنه كان يعرف المولود من أبنائه قبل أن يولد ويسميه باسمه ، وقد سمى أبناءه جميعا بأسماء النبى – صلى الله عليه وسلم – وألقاب الأمراء ، فمنهم : سلطان أحمد ،

ومحمود ، وبشير أحمد ، وولى الله ، ومبارك أحمد ، ومنهم بنت أسماها بعدة أسماء من أسماء نساء آل البيت .

فى هذا الجو من السطحية ، والايغال المضطرب فى التدين ، وفهم الدين ، نشأ « غلام أحمد » وعلى هذه الأسس التى تكونت عليها شخصيته مارس الاشتغال بالعبادات والمجاهدات والقراءات الطويلة لأهل الملل والنحل ، والسفسطة ، ومواصلة الصيام شهورا ، وحين بلغ من العمر سبعة وأربعين عاما احتبس فى خلوة (أربعين) فى هوشيا ـ بور سنة ١٨٨٦م ومكث فيها عشرين يوما .

وقد منعه انحراف صحته وضعفه من مواصلة هذه المجاهدات ،

واستولى عليه بعد ذلك طموح إلى تبوء الزعامة الدينية ، أخذ يتطور إلى وهم وخيال مريض ، يزين له الاستيلاء على العالم الاسلامى ، لا بزعامة دينية فحسب بل باسم (النبوة) متذرعا إلى ذلك بسلاطة فى اللسان ، وإقذاع فى الهجاء للمخالفين له من علماء عصره ، وعباد الله الصالحين ، وعامة الناس ، يساعده على ذلك طبع عدوانى حاد ، يشيع الإرهاب الفكرى من حوله .

وإذ كان يعيش فى أحلام وأوهام هذه الزعامة والنبوة كان يفتقد أهم عنصر أساسى لأية قيادة أو زعامة ، فضلا عن النبوة ، ذلك العنصر هو عنصر الصدق : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَرى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ ولَمْ يُوحَ إِليه شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ الله)[1] .

---

(١) الآية ٩٣ من سورة الأنعام .

الفصل الثانى

مجالات نشاط القاديانى فى سبيل دعواه

بدأ نشاطه لدعوته وتشعب فى اتجاهات ثلاثة يزكى كل منها الآخر وهى : المناظرة ، وتجميع الأتباع ، والكتابة :

نشاطه بالمناظرة :

لقد تميزت تلك الفترة بعد ثورة ١٨٥٧ م وتوقف حركة الجهاد ، بالنشاط الجدلى والمناظرات ، تغذيها عوامل خارجية من المستعمر وأتباعه من القسس والمبشرين ، وعوامل داخلية من أرباب النحل القديمة والجديدة .

وقد بدأ يبرز نشاط القاديانى ، وينزل ميدان هذه المعارك الجدلية كسبا للصيت ، وبخاصة مع كبار المناظرين ضد المبشرين ، وأثبت تفوقه فى هذا الميدان نظرا لتمكنه بقراءاته الكثيرة فى الديانات والنحل ، مع طبيعته الجدلية ، وسلاطة لسانه ، وعدم تورعه ، عن الإقذاع ، حتى اعترف له خصومه بالتفوق .

وكان فى كثير من هذه المناظرات ينتصر للاسلام ويدافع عنه مما لفت إليه الأنظار ، وجذب إليه المعجبين والأتباع يلتفون حوله .

ومن أبرز معاركه فى هذا المجال معركته مع جماعة « الآرية سماج » الهندوكية فى مناظرته لزعيمها المدعو « مردلى دهر » فى مارس ١٨٨٦ [1] ، ولم يفته أن يسجل هذه المناظرة فى كتابه الثانى الذى

(١) تلك السنة التى اعتكف فيها فى (هو شيار بور) .

سماه « كحل الآرية » وقد أدار الحديث فيه حول الدفاع عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وركز على المعجزات ، مؤيدا لها ورادًّا للشبه عنها مقيما للأدلة العقلية على صدقها ، مرجعا أسباب إنكارها إلى علم المنكر المحدود ، وعدم إحاطته لكل الأمور التى فيها مالا يدخل فى إطار الفكر الانسانى .

ومما يؤخذ عليه فى تحريره لهذا الموضوع زيادة تأكيده (أن المعجزات متوقعة فى كل وقت) .

ذلك أن المعروف أن المعجزة مرتبطة أساسا بالنبوة والرسالة ، وقد ختمت كلتاهما بخاتم المرسلين سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – .

إلا أنه فى زحمة الاعجاب بحماسته فى الدفاع عن الاسلام وتقديرًا لجهوده وقف العلماء أولا من مثل هذه البوادر والمزالق على محمل التأويل ، آملين منه تصحيحها ، إلا أن مزالقه بعد ذلك كانت مردية .

* * *

ومن طريف مساجلاته ما دار بينه وبين الزعيم الوطنى المصرى « مصطفى كامل » بشأن معارضة المرزا للتطعيم ضد وباء الكوليرا فى الهند ، بزعم أنه يتنافى مع إرجاع الأسباب والمسببات إلى الله وحده ،

ويسجل تلك المناقشات بينهما فى كتابه « مواهب الرحمن »[١] ونشير إلى جزء منها كنموذج لأسلوبه وأفكاره يقول :

(قد اعترض علينا صاحب اللواء[٢] — عفا الله عنه — وغفر له خطأه الذى صدر منه من غير عزم الإيذاء . قال — أى مصطفى كامل — : وردت إلينا نشرة باللغة الانكليزية متضمنة آراء المسيح ، الذى ظهر فى بعض البلاد الهندية وادعى النبوة[٣] وادعى أنه هو عيسى ، ليجمع الناس على دين واحد وليهديهم إلى سبيل التقى .. وأنه زعم أن التطعيم ليس بمفيد للناس ، واستدل بآية : (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا) فانظروا إلى سقم هذا القياس .

ثم بعد ذلك قال صاحب اللواء : (أن هذا المدعى يزعم أن ترك الدواء هو مناط التوكل على واهب الشفاء ، وليس الأمر كذلك فإن الاتكال على الله تعالى هو العمل بمقتضى سنته التى جرت فى خليقته ، وقد أمرنا فى « القرآن » أن ندرأ الأمراض والطواعن بالمداواة ، والمعالجات ، ولا نجد فيه شيئا مما قال هذا الرجل من الكلم الواهيات ، بل الاتكال بالمعنى الذى يظن هذا المدعى هو عدم الاتكال فى الحقيقة ، فإنه خروج من السنة الجارية المحسوسة المشهودة فى عالم الخلق وخلاف الآية : (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) .

---

(١) مواهب الرحمن ص ٣ — ١١ .

(٢) مصطفى كامل صاحب جريدة اللواء المصرية .

(٣) فى هذا إشارة إلى أن خبر ادعائه النبوة قد استفاض بين معاصريه فى كثير من الأقطار الإسلامية .

هذا ما قال صاحب اللواء وما تظنى[1] ، فالاسف كل الأسف عليه أنه اعترض قبل أن يفتش وتجنى . . . .

فأقول على رسلك يافتى وتعال أقص عليك قصتى

إنى امروٌ يكلمنى ربى ويعلمنى من لدنه ويحسن أدبى . . . وكلما قلت قلت من أمره .. أتعجب من هذا ؟ . . . فلا تمارنى فى ترك التطعيم ، ولا تكن كمثل من أغفل الله قلبه فاتخذ أسبابه إلها ، وكان أمره فرطا ولكل سبب إلى ربنا المنتهى ، ويفنى السبب بعد مراتب شتى . . . اعلم أن الأسباب أصل عظيم للشرك الذى لا يغفر ولا نمنع من الأسباب على طريق الاعتدال ولكن نمنع من الانهماك فيها والذهول عن الله الفعال . . . ثم مع ذلك إن كان ترك الأسباب بتعليم من الله الحكيم فهى آية من آيات الله الجليل العظيم ، وليس بقبيح عند العقل السليم وقد سمعت أمثالها فيما مضى . . . أنسيت قصة رفيق موسى ؟) .

* * *

نشاطه فى جذب الاتباع وتجميعهم والتأثير فيهم :

كان تفوقه فى مجال المناظرة جاذبا لاهتمام بعض المثقفين وإعجاب الجماهير ، الذين أقبلوا عليه بدافع الغيرة على الدين وتقديرا لجهوده وفى ولاية البنجاب – موطنه – حيث التخلف الضارب أطنابه فى نواحى الحياة الثقافية والاجتماعية كثر أتباعه ومريدوه ، واتخذ

---

(١) هذا لفظه ويعنى به (وماظنه وادعاه) .

إعجابهم به مظهر التقديس والتسليم ، إلى درجة التلقف لكل ما يقول ويدعى من قول معقول أو مردود ، والتقديم بين يديه ببذل المال والهدايا يعدون ذلك تعبدا وقربى .

وتطورت مع ذلك حياته الأدبية والمادية ، وتطاولت آماله إلى آماد وآفاق لا يدعيها إلا نبي مؤيد بوحي ، أو دعي كذاب .

أما والوحي قد ختم بخاتم المرسلين ، فلم يبق إلا أن يكون ثاني الاحتمالين ، وبمتابعة التطورات والتقلبات فى دعاواه وسلوكه ستتوالى الأدلة على ذلك .

فقد خرج من عزلته الفكرية والحسية إلى انطلاقات شاردة ، ومن تقشفه وزهده إلى ترف وغنى من عرق الكادحين ، ومن بساطة فى الحياة إلى مسارب ومضايق من الفكر المضطرب ، والمعارك التى لا تخدم دينا ولا دنيا .

وغرته الجماهير الغافلة عن نفسه وغرها عن نفسها ، حتى طمح إلى قدسية يزكيها التفافهم من حوله والسير فى ركابه ، حتى ورد بهم موارد شتى ، عزلتهم عن جماعة المسلمين فى سلوكهم ومعتقداتهم كما سنتابعه فيما بعد .

وصار له عليهم نوع من السيطرة لها قداسة العقيدة ، يرون طاعته فى ظلها عبادة ، ومخالفته كفرا حتى كان ادعاؤه المسيحية والوحى والنبوة وتابعوه عليها مؤمنين ، فأصبحوا بسبباهم تلك أمة من دون المسلمين بل ويكفرون من لا يدين بدعوتهم .

نشاطه فى مجال الكتابة والكتب وخصائص هذا النشاط :

فى عام ١٨٧٩م بدأ يؤَلف الكتب ، ويحرر الرسائل ، ويدون المناظرات ويكتب المساجلات بينه وبين معارضيه ويبرز دعاواه .

ومن واقع ما ظهر له من كتابات خلال ثمانية وعشرين عاما نجده يتميز بظاهرة طول النفس فى الكتابة والمناقشة ، مع رداءة فى الأُسلوب ، وركاكة فى العبارة ، والتكرار الممل ، والجدل ، والإكثار ، والإقذاع ، وضحالة المضمون ، وغلبة طابع الشحناء ، وإثارة المعارك الكلامية التى برع فيها ، ورفعته إلى مصاف المناظرين المنتشرين فى الهند آنذاك .

ومعظم ما كتب فى البداية كان عن الملل والنحل ، والمسيحية ، والبرهمية ، والآرية بصفة خاصة .

اول انتاجه فى الكتابة :

كان باكورة إنتاجه فى هذا الميدان كتابه الضخم « براهين أَحمدية » بدأه عام ١٨٧٩ م وظهر منه أَربعة أَجزاءٍ فى الفترة من عام ١٨٨٠ م حتى عام ١٨٨٤م ثم توقف إلى أَن ظهر جزؤُه الخامس بعد خمس وعشرين سنة عام ١٩٠٥ م حيث كان قد مات معظم المشتركين فيه ، وتوجه إليه الإنكار والاستياء ممن قدموا ثمن هذا الكتاب بأَكمله مما دعاه إلى الاعتذار والتبرير لذلك فى مقدمة جزئه الخامس ، ذاكرا أَنه كان على عزم إصداره فى خمسين جزءًا ولكنه سيقتصر على الخمسة الأَجزاء ، ولما كان الفرق بين الخمسين والخمسة هو صفر واحد فقد أَنجز وعده بإتمام خمسة أَجزاءٍ . . (كذا ! !) .

ويبدو من استعراض موضوعات هذا الكتاب أن كثيرا منها كان استجابة وانفعالا لتأثيرات التيارات الفكرية فى الهند وقتذاك ، وأن المؤلف اختارها وعالجها بذكاءٍ هادف .

وقد تكفل المؤلف أن يجمع فيه ثلاثمائة دليل على صدق الإسلام ، وقد ذكر نجاه المرزا بشير[1] أن الكتاب لم يشتمل إلا على دليل واحد ، وحتى هذا الدليل الواحد لم يأت كاملا .

وكان حين بدأ فى تأليفه قد كاتب بعض العلماء والباحثين والكتاب بشأن موضوعه ، وطلب إليهم أن يوافوه بأفكارهم وكتابات منهم ليستعين بها . .

وحين ظهرت بعض أجزائه واكبها بتوجيه منشور إعلانى عنه بالإنجليزية والأوردية إلى بعض الملوك والوزراء والقسس وعلماء الهنادك .

ويعد هذا الكتاب من أمهات ما كتب إذ ضمنه أصول نزعاته الفكرية ، ولا يجد القارئ فيه على طوله وضخامته ابتكارا علميا أصيلا ، بل إن مافيه من أفكار علمية قد سبق بها وبخاصة فى مجال مجادلة أهل الكتاب[2] ، فضلا عما اتسم به من أساليب ودعاوى تخرجه عن مجال البحث العلمى والنقاش الدينى الهادف ، ويكاد يكون هذا طابع كتاباته جميعا .

(١) فى كتابه (سيرة المهدى) .

(٢) يفوقه فى هذا بجدارة كتاب (إظهار الحق وإزالة الأوهام وإزالة الشكوك) لرحمة الله الكيرالوى ١٣٠٩ م .

بعض كتبه :

ولقد نيفت كتبه ورسائله على أربعة وثمانين كتابا ورسالة منها :

البرية – الأربعين – حقيقة الوحى – تبليغ الرسالة – ضميمة كتاب نزول المسيح – مكتوبات أحمدية – فتح إسلام – توضيح مرام – إزالة أوهام – حمامة البشرى – مواهب الرحمن – من هو الأحمدى .

ومن خلال نشاطه فى تلك المجالات ومن واقع ما كتب نتابع سير دعواه وعناصرها ومراحل تطورها .

الفصل الثالث

مراحل القاديانية وتطوراتها

مراحل دعوى القادياني وتطوراتها :

المرحلة الأولى : دعوى الإصلاح والتجديد (١٨٧٩ م – ١٨٩١ م) :

كان بدؤه فى تأليف كتاب (براهين أحمدية عام ١٨٧٩ م) مبدءًا لهذه المرحلة ، ودار نشاطه فيها حول محور أبرزه وركز عليه فى كتابه هذا ، وهو (أنه مأمور من الله لإصلاح العالم ، والدعوة إلى الإسلام ، ومجدد لهذا الدين) .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف ادعى : أن له مماثلة للمسيح – عليه السلام – وأنكر الحاجة إلى نبوة جديدة ، ووحى جديد ، وأنه ألهم : (أنت على بينة من ربك فبشر ، وما أنت بنعمة ربك بمجنون)[1] .

وتناول فى هذه المرحلة التعريف بالإسلام وإثبات فضله ، وبيان إعجاز القرآن ، وإثبات نبوءة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – .

وأسهب فى الرد على الديانات والنحل السائدة فى الهند آنذاك .

---

(١) براهين أحمدية ج ٣ ص ٢٣٩ – ٢٤٢ .

النتائج الفكرية لهذه المرحلة :

وقد اتجه تفكيره فى تلك المرحلة إلى أمور كان أبرزها مايلى :

١ ـ أن الإلهام لم ينقطع ، ولا ينبغى أن ينقطع ، وأنه من أقوى الدلائل على صحة الدعوى وصدق الديانة .

٢ ـ أن الذى يتم اتباعه للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكرم بالعلم الظاهر والباطن الذى أكرم به الرسل أصالة ، ويحصل له العلم اليقينى والقطعى ، ويكون علمه اللدنى مشابها لعلم الرسل ، وهم الذين ذكروا فى الحديث (بالأمثل) وفى القرآن (بالصديق) ، ويكون عصر ظهورهم مشابها لعصر بعثة الأنبياء ، وبهم تقوم حجة الإسلام ويكون إلهامهم يقينيا قطعيا .

٣ ـ أثبت أن وقوع المعجزات والخوارق ممكن عقلا ، وأنه ليس للعقل البشرى القاصر والعلم الإنسانى المحدود ، والتجارب الفردية المحدودة أن تنكر وقوع المعجزات والخوارق فى هذا العالم الفسيح ، وعرض لمعجزة شق القمر وثبوتها عقليا ونقليا ، ودافع عنها وعن بقية المعجزات دفاعا قويا .

وأنه لابد فى الدين من الإيمان بالغيب ، وأنه لايتنافى مع العقل لأن العقل قاصر غير محيط .

٤ ـ أقر برفع المسيح ـ عليه السلام ـ إلى السماء ونزوله مرة ثانية ، وأنه لاخطر على القرآن وتعاليمه من التحريف ، ولا خطر على المسلمين من العود إلى الوثنية الجاهلية وعبادة المخلوق ، بل بالعكس

أصبح المشركون فى خطر من التوحيد الإسلامى ، وأصبحت الوثنية مهددة بالتعليم الإسلامى .

٥ ــ لاحاجة إذن إلى شريعة جديدة وإلهام جديد ، وتحقق أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم الرسل .

تقويم هذه المرحلة :

هذه القضايا التى انتهى فيها إلى ماتقرر كانت مشغلة المسلمين آنذاك وكان ذكيا فى إثارتها ومعالجتها وحسن الدفاع عنها مما أكسبه لونا من البطولة لتصديه لها بالدفاع ، وأثار إعجاب كثير من أعلام العلماء وثناءهم ، منهم عالم الحديث الشيخ «محمد حسين البتالوى» الذى قرظه فى شىء من الاطراء والمبالغة والدهشة فى مجلته «إشاعة السنة »[1] .

وكانت تلك المرحلة بمثابة إعلان عنه أخرجه من الخمول والعزلة التى كان يعيش فيها إلى استلفات الأنظار وتجمع بعض القلوب عليه ، وذيوع خبره فى البلاد الهندية ، ويستشعر هو هذا ويحس به ولا يفوته أن يدونه بقوله :

(لقد كنت فى ذلك العصر رجلا خاملا ليس له معارض ولا موافق ، أعيش فى زاوية الخمول ، وكنت كميت مدفون فى قبره من قرون ، ولايعرف أحد لمن هذا القبر ومن هو الدفين فيه)[2] .

---

(١) المجلد السابع عام ١٨٨٤ ع ٦ – ١١ .

(٢) تتمه حقيقة الوحى ص ٢٨ نقلا عن الأستاذ أبى الحسن الندوى ص ٤٤ (القاديانى والقاديانية) .

وقد ازدحمت كتابته في تلك المرحلة بمازعمه من الإلهامات والمنامات والخوارق والكشوف والتكليمات الإلهية والنبوءات والادعاءات والتحديات الطويلة العريضة ، وخرج أسلوبه فى تقرير تلك المزاعم عن نطاق المحاجة العلمية إلى إسفاف وتحد ، يعززه طغيان الأنانية والغرور . .

من ذلك قوله : (لقد ألهمت آنفا وأنا أعلق هذه الحاشية ، وذلك فى شهر مارس عام ١٨٨٢ مانصه حرفيا : يا أحمد ، بارك الله فيك ! مارميت إذ رميت ولكن الله رمى ، الرحمن علم القرآن ، لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ، ولتستبين سبيل المجرمين . قل إنى أمرت وأنا أول المؤمنين . . .. إنى رافعك إلى والقيت عليك محبة منى)[1] .

ومن خلال هذه السطور وغيرها ووسط زحام المعارك الكلامية التى خاضها ، وحماسة الدفاع عن الإسلام تطل علينا نفسية أخذت تستقطب الاهتمام بذاتها ، وتشد الأنظار إليها ، وتدرج على مراق صعبة من الإعجاب والاعتداد ، ينزلق بها إلى انحناءات فكرية خطرة ، وتقفه على مفترق طرق من الخمول إلى الظهور ، ومن التواضع إلى الكبرياء ، ومن الدعوة إلى الادعاء ، ومن وضوح الغاية والهدف إلى ضرب من التجديف الشارد انتقل معه من مناظرة الصليبيين وأهل النحل الأخرى إلى منازلة المسلمين ، وفتح ثغرات مشبوهة لاطائل من ورائها إلا بلبلة الفكر وفرقة الكلمة ، ومعارك ضارية تمزق شمل الأمة وتزجى غيامات من الشكوك والفتن تحجب وجه الإسلام عن أهله

(١) براهين أحمدية ج ٣ ص ٢٣٩ — ٢٤٢ .

وعن غير أهله ، ولم تكن تلك النتوء التى برزت فى أفكاره مبكرة لتخفى عن ذوى البصائر ، حتى توسم فيه بعض العلماء ادعاء للنبوة ، ومن هؤلاء الشيخان محمد وعبد العزيز ابنا الشيخ عبدالقادر اللدهيانوى.

كما أنكر عليه هذه الالهامات التى ادعاها جماعة من علماء الحديث فى «أمر تسر» واستبعدوها تماما[1] .

المرحلة الثانية – (١٨٩١ – ١٩٠٠ م) :

ومع المعجبين به ، والمنكرين له ، فالمتوقفين فى أمره ، بدأ نجمه يتألق من غير كبير عناء أو جهاد أو بلاء ، وإنما قصارى جهده حملات كلامية لا تجمع صفا ولاترمى إلى هدف ، ولا تنصر صديقاً ولا تخيف عدوا ، فى وقت كان المسلمون أحوج ما يكونون فيه إلى زعامة رائدة ، وقيادة مؤمنة .

وأعداؤهم من المستعمرين ينشدون لهم فرقة وتشكيكا وزعامة تصرفهم عن هدفهم ، وتشغلهم بخلافاتهم ، وكان الالتواء بمنهج الإصلاح ، إلى مسارب لاتغنى الناس فى دينهم ودنياهم هو هدفهم ، وكان فتح الأبواب على مصاريعها فى الحديث عن حياة المسيح — عليه السلام — ونزوله فى آخر الزمان ، وأحاديث الفتن –التى لم يات تأويلها بعد – يصادف هوى فى نفوس المستعمرين ، إذ هو المنفذ اللائق للتسرب إلى عقول البسطاء من المسلمين ، وأن الذى يتزعم هذا المنصب وينتحله ويظهر به يستطيع أن يؤسس سيادة روحية ،

---

(٢) مجلة اشاعة السنة المجلد السابع العدد السادس يونيه ١٨٨٤ م .

وإمارة دينية وسياسية بسهولة ، وقد كان دون ذلك — من الزعامة الدينية — مؤهلا لقيادة مجاهدة أقلقت المستعمر على يد الحركة المهدية التى قادها فى السودان السيد « محمد أحمد » السودانى ، والتى لم يرتق فيها بنفسه إلى ادعاء النبوة ، فكيف والمرزا يدعى مقاماً أعلى من ذلك وهو مقام النبوة ؟ !

كما كانت فكرة المهدى والمسيح الموعود قد تغلغلت فى المجتمع الإسلامى وتنتظر من يقوم بها ليجد أرضا خصبة ونفوسا مستجيبة .

ولقد تكاتفت عدة عوامل لترشيح المرزا ، ودفعه للقيام بهذا الدور :

منها استعداده الذاتى للمغامرة بمثل هذه الدعوة وما كانت تهيأت له نفسه من طموح وغرور زكاهما بروزه فى مجال التحدث باسم الإسلام والتفاف الأتباع حوله .

ومنها تطلع المستعمرين الإنجليز وترقبهم لشخصيات يتبنونها ويصنعون لها زعامة يكون زمامها بأيديهم ، توقف تيارات الإثارة باسم الجهاد ضدهم وتلوى زمام المسلمين إلى مسارب من الخلاف الشاغل بقيادة روحية مصطنعة .

ومنها طبيعة البلاد ومناخها الذى يتقبل كل رياح تأتيه بالصبا والدبور من التوحيد إلى التخريب .

والتقت هذه العوامل عند اقتراح تقدم به صديق له حميم — هو « الحكيم نور الدين » — تقدم به للمرزا بأن يظهر المسيح ، ويدعى

أنه هو المسيح الذى أخبر بنزوله ، و كثر الحديث عنه فى المجتمع الإسلامى ، وقدر الحكيم بذكائه أن المسلمين لا شك بعد ما تأثروا بدفاع مرزا عن الإسلام ، واعتقدوا فيه الولاية لكثرة إلهاماته ومناماته ومبشراته يرحبون به ويخضعون له .

ويصادف الاقتراح هوى ورغبة وأملا فى نفس المرزا ، فيقبل عليه ويتولى الاعلان عنه لنفسه فى قوة وصراحة ، ويزفه إلى الناس كأنه البشرى زاعماً أنه المسيح المنتظر ، مفسرا ظهور المسحاء فى الإسلام بأنهم الأولياء ورثة الأنبياء ، وأنه له خصائص المسيح وما سيؤديه من دور فى الحياة ، ويملأ بالكتابة فى هذا الشأن ثلاثة كتب[1] ، ومن قوله فى هذا[2] .

(أيها الناس إذا كنتم أصحاب إيمان ودين فاحمدوا الله واسجدوا لله شكرا ، إن العصر الذى قضى آباؤكم حياتهم فى انتظاره ولم يدركوه وتشوقت إليه أرواح ولم تسعد به قد حل وأدركتموه . . . .

سأكرر ذلك ولا أفتأ أذكره إننى ذلك الرجل الذى أرسل لإصلاح الخلق ليقيم هذا الدين فى القلوب من جديد ...

لقد أرسلت كما أرسل الرجل (المسيح) بعد كليم الله « موسى » الذى رفعت روحه بعد تعذيب .

---

(١) هى (فتح اسلام) و (توضيح مرام) و (إزالة أوهام) وظهرت ثلاثتها فى عام واحد هو ١٨٩١ م .

(٢) فتح إسلام ص ٦ ، ٧ ، ٩ نقلا عن (القاديانى) لأبى الحسن الندوى ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

فلما جاء الكليم الثانى (محمد صلى الله عليه وسلم) ... فكان لابد أن يكون بعد هذا النبى من يرث قوة مثل المسيح وطبعه وخاصيته ويكون نزوله فى مدة تقارب المدة التى كانت بين الكليم الأول والمسيح بن مريم يعنى فى القرن الرابع عشر الهجرى وقد نزل هذا المسيح وكان نزوله روحانيا ... إن لى شبها بفطرة المسيح ، وعلى أساس هذا الشبه الفطرى أرسل هذا العاجز باسم المسيح ليدك العقيدة الصليبية ، فقد أرسلت لكسر الصليب وقتل الخنازير ، لقد نزلت من السماء مع الملائكة الذين كانوا عن يمينى وعن شمالى) .

وهكذا يظل قلمه متدفقا بهذه الأفكار والأوهام ، ومن ورائه عقل صديقه « نور الدين » يوجهه ويزين له ، وعقول أتباع سذج تتابع هذا التخليط وتؤمن به وهو سادر فى إغوائه ، مندفع بحدة فى مقارعة المعارضين له ، ساخر منهم مستهزئ بهم ، بل وتمتد سخريته إلى موضوع حياة المسيح ونزوله من السماء فيتهكم بمن يؤمن بها من العلماء ، بأسلوب مبتذل ، بعيد عن أسلوب البحث العلمى بله أخلاق الدعاة ، وقد كان من قبل من المؤمنين بذلك ، ويسترسل فى تأويل الآيات والنصوص الواردة فى بعض الأحاديث ويصرفها عن ظاهرها ويعتبرها من قبيل المجاز والاستعارة ، بل ويصرح بأن النبى — صلى الله عليه وسلم — لم تتضح له حقيقة « ابن مريم » والدجال الكاملة ، وأن الله تعالى كان قد ألقى عليه علما إجماليا فقط فى هذا الشأن .

نتائج تلك المرحلة :

وينتهي فى تلك المرحلة إلى النتائج التالية :

(أ) أن المسيح — عليه السلام — توفى فى كشمير ودفن هنالك ، بعد أن هاجر إليها من فلسطين قبل ألفى سنة ، وأن القبر المشهور بقبر (بوذاسف) فى حارة « خان يار » هو قبر المسيح — عليه السلام — وكان يعرف بالنبي ابن الملك ، وقد قال عن ذلك فى رسالة له بالعربية إنه :

(مات ودفن فى أرض قريبة من هذه الأقطار ، وقبره موجود فى سرى نكر فى الكشمير إلى هذا الزمان ، ومشهور بين العوام والخواص ، والأعيان ، ويزار ويتبرك به ، فاسأل أهلها العارفين إن كنت من المرتابين[1]) .

(ب) بما أن المسيح توفى ، فإنه — أى المرزا — ذلك الرجل المرسل لإصلاح الخلق فيقول :

(لقد أرسلت كما أرسل الرجل « المسيح » بعد كليم الله « موسى » الذى رفعت روحه بعد تعذيب وإيذاء شديدين ، فى عهد هيروديس فلما جاء الكليم الثانى « محمد » — صلى الله عليه وسلم — الذى هو أول كليم ، وسيد الأنبياء لقمع الفراعنة الآخرين ، الذى قال الله تعالى عنه : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى

---

(١) الرسالة العربية ص ٢٢ .

فِرْعَوْنَ رَسُولًا) فكان لابد أن يكون بعد هذا النبي الذى هو فى تصرفاته مثل الكليم ولكنه أفضل منه ، من يرث قوة مثل المسيح وطبعه وخاصيته ، ويكون نزوله فى مدة تقارب المدة التى كانت بين الكليم الأول و « المسيح بن مريم » يعنى فى القرن الرابع عشرالهجرى وقد نزل هذا المسيح وكان نزوله روحانيا) .(١)

وأنه ليس المراد من النزول هو نزول المسيح بل هو إعلام على طريق الاستعارة بقدوم مثيل المسيح ، وأن هذا العاجز هو مصداق هذا الخبر حسب الاعلام والإلهام(٢) .

(ج) أنه ذلك الرجل الذى أرسل لإصلاح الخلق ، ليقيم هذا الدين فى القلوب من جديد ، وليدك عقيدة الصليب ويكسر الصليب ، ويقتل الخنازير ، وأن قرية « قاديان » مشابهة بدمشق وأن الله أنزلنى لأمر عظيم فى دمشق هذه بطرف شرقى عند المنارة البيضاء من المسجد الذى من دخله كان آمنا(٣) .

تقويم تلك المرحلة :

أولا : ناقض نفسه فى قضية (رفع المسيح ونزوله –صلى الله عليه وسلم – فهو قد قرر فى المرحلة الأولى رفعه ونزوله مرة ثانية ، وعدل فى هذه المرحلة عن ذلك ، وقطع بوفاته ، وعدم نزوله ليخلى المقام لنفسه ، وإذ يواجه بهذا التناقض يعتذر عن رأيه الأول ، بأنه ذكره

---

(١) فتح إسلام ص ٦ – ٧ .
(٢) كما يقول فى كتابه (توضيح المرام) .
(٣) (إزالة أوهام) ص ٦٨ .

كعقيدة إسلامية مشهورة يؤمن بها أكثر المسلمين ، ولم يكن قد تلقى بعد إلهاما فى ذلك وإرشادا من الله ، فكان ذلك منه اتباعا للآثار المروية ، قبل انكشاف الحقيقة إذ كانت عينه مطبقة حتى فتحها الله)[١] .

ثانيا : غلبت عليه النزعة العقلية التى تلجأ إلى التأويل والتعليل : وصرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يهدف إليه لأدنى مناسبة ، من ذلك تأويله للرداءين الأصفرين ذلك أن خصومه كانوا قد اعترضوا عليه بأن أحاديث النزول التى يحتج بها ويؤسس عليها دعوته ودعواه أنه هو المسيح الموعود قد جاء فيها أن المسيح ينزل وعليه رداءان أصفران فيقول مؤولا : (المراد بالرداء الأصفر : العلة وقد جاء فى الحديث أن المسيح ينزل وعليه رداءان أصفران وهذا شأنى فإننى أعانى علتين : إحداهما : فى مقدم جسمى وهو الدوار الشديد ، الذى قد أخر به الأرض ، وأخاف به على نفسى ، والعلة الثانية : فى أسفل الجسم وهى كثرة البول)[٢] .

ثالثا : لجأ إلى الخداع والتزييف فادعى (أن قرية قاديان مشابهة بدمشق ، وأنزلنى الله لأمر عظيم فى دمشق هذه بطريق شرقى عند المنارة البيضاء من المسجد الذى من دخله كان آمنا فتبارك الذى أنزلنى فى هذا المقام)[٣] .

---

(١) انظر (إزالة أوهام) ص ٩٧ و (براهين أحمدية) ج ٥ ص ٨٥ نقلا عن (القاديانى) للأستاذ أبى الحسن الندوى ص ٥٤ .
(٢) براهين أحمدية ص ٢٠١ .
(٣) إزالة أوهام ص ٦٨ .

وإذ قد تغلب على تاويل لفظ دمشق والشام . . إلخ فقد بقى له أن يتغلب على مشكلة (المنارة الشرقية) وذلك ببنائه منارة فى شرق قاديان وقرر ذلك سنة ١٩٠٠ م وفتح الاكتتاب لذلك وحث على الإعانات ووضع أساسها عام ١٩٠٣ وتم هذا المشروع بعد وفاته فى حياة نجله المرزا « بشير الدين محمود » .

رابعا : اعتمد فى تأييد دعاواه على الإلهامات والمنامات ولجأ إلى أساليب الباطنية فى حساب الجمل والأعداد والتطرف فى تأويل المصطلحات الدينية والكلمات الشرعية المتواتر لفظها ومعناها ومفهومها .

خامسا : دخلت فى حياته مؤثرات جديدة مثل شخصية الحكيم « نور الدين » الذى كان له أثر كبير فى هذا التحول والإيحاء به ، ومتابعته التأييد والاستدلال .

سادسا : تحولت معاركه ، من تعريف بالإسلام ودفاع عنه ، إلى فتح ثغرات يزيف فيها المفاهيم الإسلامية ، ويلوى الأدلة لخدمة أغراض تصرف المسلمين عن هدفهم وتخدم المستعمر فى تمزيق وحدة الأمة .

سابعا : إفصاحه عن الأعراض التى يعانيها وشدة تأثيرها عليه إذ يقول : (إننى أعانى علتين من مدة طويلة أحداهما الصداع الشديد الذى أعالج منه الشدة والكرب والأهوال الشديدة وقد زال وبقى الدوار الذى ينتابنى بعض الأحيان – وذلك لئلا يقع الخلل فى نبوءة الرداءين الأصفرين – والعلة الثانية مرض السكر الذى أعانيه منذ عشرين سنة) . (١)

---

(١) براهين أحمدية ج ٢ ص ١٥٣ .

ويكفى هذا دليلا على أنه لم يكن بحالة عادية يتأتى له فيها من التفكير ما يتأتى لرجل عادى بله نبي ومن المقرر شرعا أن الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – معصومون ومنزهون من مثل هذه الأمراض المخلة بالتوازن[1] وأنه يجب لهم كل كمال بشرى فى الخلق والخلق .

المرحلة الثالثة ونتيجتها (١٩٠٠م – ١٩٠٨م) :

ونتابع فيها ثمرة غرسه فى المرحلتين السابقتين .

وقد صحبناه وهو يتكلم عن الإلهام ، والعلم الباطنى ، والعلم اليقينى كمنزلة يصل إليها الإنسان بلزوم متابعة النبي – صلى الله عليه وسلم – والتفانى فيه ، ثم وهو يتكلم عن صفات النبوة وخصائصها وتوفرها فيه ، من غير تصريح بكلمة النبوة والنبي ، الذى يجمع هذه الخصائص والصفات ، وأن ذلك حاصل لأفراد الأمة على طريق التبعية والوساطة ، وكانت نتيجة تلك المقدمات وتهيئة النفوس بها أن تقدم بدعوى النبوة فى الوقت المناسب فى حسبانه ، بعد أن استوثق من تصديق أتباعه له حالة يدعيها وقد كان الأوان الذى تقدم به عام ١٩٠٠م .

وإذا كان « نور الدين » قد رشحه ودفعه لادعاء أنه المسيح الموعود فقد كان الرجل الثانى من أتباعه بعد نور الدين هو الشيخ

(١) وقد وصف هذا الدوار سابقا بأنه (دوار شديد قد أخر به على الأرض وأخاف به على نفسى) كما سبق أن أصيب فى شبابه بمرض هستيريا ونوبات عصبية عنيفة كما وصف العلة الثانية بما يلازمها عنده من كثرة التبول .

« عبد الكريم »[1] هو الذى قدمه للمنزلة الجديدة ، وألبسه الرداء الجديد فى ذلك العام ، وفى يوم جمعة ومن فوق منبر الجمعة ذكر هذا الشيخ : أن المرزا « غلام أحمد » مرسل من الله ، والإيمان به واجب ، والذى يؤمن بالأنبياء ولا يؤمن به يفرق بين الرسل ويخالف قوله تعالى فى وصف المؤمنين : (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) .

لكننا لا ندين المرزا بكلام غيره ، ولو كان أقرب الناس إليه فماذا كان موقفه هو من هذه الدعوى ؟

لقد كانت هذه الخطبة مثار نقاش بين الأتباع الذين كان قد وصل إيمانهم بالمرزا إلى مقامات ومنازل الولى ، والمجدد ، والمهدى المعهود ، والمسيح الموعود ، ولم يتجاوزوها .

وكان ادعاء المنزلة الجديدة مفاجأة لهم ، وكان منهم من أنكرها مثل الشيخ « محمد أحسن الأمروهى »[2] فعاد المولوى «عبد الكريم» فى الجمعة التالية مباشرة ، ومن فوق منبر الجمعة أيضا والتفت إلى المرزا وقال له :

(أنا أعتقد أنك نبى ورسول فإن كنت مخطئا نبهنى على ذلك) .

---

(١) وهو يلى نور الدين فى الأهمية وقد كان المرزا يقول : إنه ونور الدين جناحان يطير بهما ، وفعلا طار بأحدهما إلى ادعاء المسيحية ، وبالآخر إلى ادعاء النبوة ، وكان عبد الكريم هذا خطيب الجمعة ، وإمام الصلوات وكاتب السر وكان شديد الحب للمرزا ، مات بمرض السرطان فى حياة المرزا ، وبلغ من وفاء المرزا له أنه لم يعده فى مرضه هذا مع شدة حرصه على ذلك وحنينه (سيرة المهدى ج ١ ص ٢٧١) نقلا عن القاديانى لأبى الحسن الندوى ص ٦٣ .

(٢) كان من كبار أتباع المرزا ، وخالف ابنه بعده فى بعض عقائده وعارضه .

ولما انتهوا من الصلاة ، وهمّ المرزا بالانصراف أمسك «عبدالكريم» بذيله وطلب منه الحكم ، فأقبل إليه المرزا وقال[١] : (هذا الذى أدين به وأدعيه) وأقلق ذلك الشيخ « محمد أحسن » وجعل يناقش المولوى « عبد الكريم » وارتفع صوتهما فخرج المرزا من بيته وقرأ :

(يَا أَيُّهَا الذِين آمنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوقَ صوْتِ النَّبِيِّ) .

ومن عام ١٩٠١م أخذ يصرح بذلك فى مؤلفاته ورسائله ، فيقول :

(لقد حرم الذين سبقونى من الأولياء والأبدال والأقطاب من هذه الأمة المحمدية من النصيب الكبير من هذه النعمة — يعنى الإلهامات والمكالمة الالهية — ولذلك خصنى الله باسم النبى ، أما الآخرون فلا يستحقون هذا الاسم)[٢] .

وغير ذلك من العبارات التى دل بها على اقتناعه تماما بأنه نبى مستقل ، صاحب شريعة ، وأمر ونهى ، ذلك أنه يرى أن النبى التشريعى هو الذى يشتمل وحيه على أمر ونهى ، ولو كان هذا الأمر والنهى قد تقدما فى كتاب نبى سابق ، وإن كان يرى أيضا أنه لا يشترط فى النبى صاحب الشريعة أن يأتى بأحكام جديدة[٣] : (فإن قال قائل : إن المراد بالشريعة : الشريعة التى تشتمل على أحكام جديدة ، انتقض هذا القول ، لأن الله يقول : (إِنَّ هَذَا لَفِى الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيم ومُوسَى) .

---

(١) انظر (القاديانى) للأستاذ أبى الحسن الندوى ص ٦٣ — ٦٤ .
(٢) حقيقة الوحى ص ٣٩١ .
(٣) حقيقة الوحى ص ٤ — ٦ .

ثم يسوق طرفا من وحيه المزعوم تطبيقا على ماقدم فيقول[1] : (إن وحي يشتمل على الأمر والنهى مثلا : أُلهمت من الله : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم) وهذا من آية كريمة من سورة « النور » لكنه يدعيها إلهاما جديدا له على حد نظره أنه لا يشترط لنبي صاحب شريعة أن يأتي بأحكام جديدة .

ثم يقرن تصريحه ـ بالدعوى على هذا الوجه ـ بالتحدى ، وظهر ذلك على وجه الخصوص فى رسالة ألفها عام ١٩٠٢م باسم « تحفة الندوة » وجهها إلى أعضاء ندوة العلماء ، ويقول فى صفحتها الأولى (أيها الناس عندى شهادة من الله فهل أنتم تؤمنون ؟ أيها الناس عندى شهادات من الله فهل أنتم تسلمون ؟ وإن تعدوا شهادات الله لا تحصوها فاتقوا الله أيها المستعجلون . أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ، إنا نصرنا من ربنا ولا تنصرون من الله أيها الخائنون) . . . . .

وإذ قد وصل بأمره إلى هذا الحد فقد أصبح على مفترق طريق ، إذ كان فيما قبل ـ فى منازل الالهام ، والتجديد ، والمهدية ، والمسيحية ، يرى أو يرى له ـ قد تكون له مندوحة بالتأويل .

أما وقد انتهى إلى ادعاء النبوة صراحة ، وأصبح مجال الحكم عليه فى هذا المقام إيمانا أو تكفيرا ، فلابد من وقفة أمام هذه الدعوى السافرة لمناقشتها : خاصة وأنه كان يرى (أن الروضة الإنسانية كانت لا تزال ناقصة وقد تمت بأوراقها وأثمارها بقدومه)[2] .

---

(١) الأربعين رقم ٤ ص ٦ . (٢) براهين أحمدية ج ٥ ص ١١٣ .

الفصل الرابع

دعوى النبوة

بعد عرض النصوص السابقة فى هذا الشأن يتضح على ضوئها أن نسبة ادعاء النبوة إلى القاديانى هى القضية التى أبرزته فى تيار الفكر الإسلامى المعاصر ، وشغل بها العالم الإسلامى فى وطنه وخارج وطنه ولازال .

وقد اضطربت النصوص المنقولة عنه أولا فى هذا ، وكانت بين الغموض والوضوح ، مما بلبل الأفكار والأحكام حوله ، وحتى انقسم أتباعه أنفسهم فى تفسيرها وتأويلها مابين مؤيد ، أو مؤول ، أو منكر.

والمتتبع لما كتب وبخاصة فى الطور الأخير من حياته ، وما حوته كتاباته من نصوص فى هذا يجد مراوغة من القاديانى نفسه فى تحرير هذه المسألة له أو عليه ، وعلى الرغم من مراوغته فإن نصوصه التى تدينه واضحة وكثيرة ، كما عرضنا ، فضلا عن رأى أتباعه من بعده وغلو بعضهم فيه ، وادعائهم له أكثر مما ادعاه لنفسه .

وإزاء هذه الدعوى اختلفت آراء الكاتبين ، تبعا لما استندوا إليه من نصوص منسوبه إليه أو إلى أحد أتباعه المقربين .

وفيما يلى نورد بعض آراء الكاتبين عنه فى هذه المسألة بالذات :
مسألة ادعائه للنبوة .

رأى الأستاذ عباس العقاد :

يرى الأستاذ العقاد ـ ويوافق رأيه رأى الأكثرين من أتباع القاديانى أنه لم يثبت أنه ادعى النبوة ، وإنما دعواه : أنه مجدد القرن الرابع عشر للهجرة ، وقد جاء فى باب إزالة الأوهام : (لا أدعى النبوة وما أنا إلا محدث) . وقال فى منشور أبريل سنة ١٨٩٧م : (لعنة الله على كل من ادعى النبوة بعد محمد) وأن مدار الرسالة القاديانية كلها على التوفيق بين الأديان وتدعيم السلام بين الأمم[١] .

رأى الدكتور محمد اسماعيل الندوى :

يرى أنه : (من الواضح البين عندنا ـ على ضوء قراءتنا لكتب القاديانى أنه لم يدع يوما من الأيام النبوة الحقيقية ، ولم ينصب نفسه يوما نبيا حقيقيا بعد الرسول محمد ـ عليه السلام ـ ينسخ رسالته ، ويبطل كونه خاتم الأنبياء ، بل كل ما قاله : أنه هو المهدى الموعود ، ثم المسيح الموعود ، أو النبي وفق عقيدة التجسد)[٢] .

رأى الأستاذ ابى الأعلى المودودى :

فتح ميرزا « غلام أحمد القاديانى » باب النبوة ، ثم قام مدعيا نبوته وصدقت الطائفة القاديانية دعواه هذه ، وأقرت له بالنبوة بالمعنى الحقيقى التام .

---

(١) انظر (الإسلام فى القرن العشرين) ص ١٤٤ ، ١٤٥ ط أولى .

(٢) انظر (القاديانية) ص ١١٠ .

وقد صرح مرزا غلام فى كتبه بدعواه الرسالة والنبوة فكتب :
(دعوانا أنا رسول ونبى) كما كتب : (أنا نبى ، وفقا لأمر الله وأكون آثما إن أنكرت ذلك ، وإذا كان الله هو الذى يسمينى بالنبى فكيف لى أن أنكر ذلك ؟ إننى سأقوم بهذا الأمر حتى أمضى عن هذه الدنيا) [1] .

رأى الأستاذ أبى الحسن الندوى :

يرى أن المرزا قد بذر بذور ادعائه النبوة فى كتبه ، ورسم الخطة لها من أول يوم ، وكانت النتيجة الطبيعية لمنطقه ومقدماته فيما كتب هى ادعاؤه النبوة والتصريح بها فى يوم من الأيام وقد كانت دعواه العريضة بذلك إذ يقول : (إننى صادق كموسى وعيسى وداود ومحمد — صلى الله عليهم وسلم — وقد أنزل الله لتصديقى آيات سماوية تربو على عشرة آلاف ، وقد شهد لى القرآن وشهد لى الرسول ، وقد عين الأنبياء زمان بعثى وذلك هو عصرنا هذا) [2] .

رأى اقبال :

يعتبر « إقبال » القاديانية ثورة على نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — ومؤامرة ضد الإسلام ، وديانة مستقلة ، وأنها محاولة منظمة لتأسيس طائفة جديدة على أساس نبوة منافسة لنبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — وأنها تريد أن تنحت من أمة النبى العربى — صلى الله عليه وسلم — أمة جديدة للنبى الهندى [3] .

(١) انظر (المسألة القاديانية) ص ٢٨ ، ٢٩ .
(٢) القاديانى والقاديانية ص ٦٧ ، ٦٨ .
(٣) انظر المصدر السابق ص ٩ — ١١ .

مناقشة هذه الآراء :

استند الأستاذ « العقاد » فى رأيه على نفى إدعاء المرزا النبوة على نص لمرزا فى منشور أبريل سنة ١٨٩٧م فى مرحلة كان المرزا مضطربا فى دعواه : مرة يفصح عنها ، وأخرى يغمض ويلغز ويتلاعب بالألفاظ ، ويلجأ إلى أساليب الاستعارات والمجازات والتأويلات ، تحت ضغوط الرأى العام الإسلامى ، الذى كان ينكر عليه ذلك بلسان علمائه وجماهيره .

إلا أنه فى أخريات حياته كشف القناع واضحا فنرى أنه يصرح بدعواه الرسالة والنبوة بقوله : (دعوانا أنا رسول ونبى) وذلك فى عدد (البدر) الصادر فى الخامس من مارس سنة ١٩٠٨م وبقوله : (أنا نبي وفقا لأمر الله وأكون آثما إن أنكرت ذلك) وذلك فى رسالة المسيح الموعود إلى محرر جريدة « أخبار عام » بلاهور ، وقد كتب هذه الرسالة قبل وفاته بثلاثة أيام فقط ، إذ كتبها فى ٢٣ من مايو سنة ١٩٠٨م ونشرت فى (أخبار عام) فى ٢٦ من مايو سنة ١٩٠٨م يوم وفاته)[1] .

وهذان النصان المتأخران عن النص الذى استدل به الأستاذ « العقاد » يثبتان بوضوح صحة نسبة الإدعاء إليه .

وأما ما ارتآه الدكتور « إسماعيل الندوى » فقد انتهى فيه إلى قوله : بل كل ما قاله أنه هو المهدى الموعود ثم المسيح الموعود ، أو النبى وفق عقيدة التجسد .

---

(١) انظر المسألة القاديانية ص ٢٩ .

وهذا واضح فى صحة نسبة الإدعاء إليه بعد مراحل : المهدية ، ثم المسيحية ، وانتهائه إلى النبوة ، ومما أوردناه سابقا ونورده لاحقا من نصوص منقولة من كتب القاديانى يتبين بوضوح ادعاؤه النبوة لنفسه ، وبخاصة فى أواخر ما كتب ، وأن ما انتهى إليه كل من « إقبال » و « المودودى » و « الندوى » من الحكم على المرزا بادعائه النبوة ، يؤيده ما أوردوه من نصوص من كلامه نفسه .

وفيما يلى نورد بعض عباراته :

(ويوحى إلى رحمة منه فاتبع ما يوحى . . . .

(وقد رأوا منى أكثر من مائة ألف آيات وخوارق ومعجزات . . . . وأن لعن الصادقين المرسلين ليس بهين . . . . .

(وقد أرسلنى ربى الذى لا يترك المخلوق سدى . . . . . .

(ونعتقد بأنه لا نبى بعده إلا الذى هو من أمته ومن أكمل أتباعه .

(فكلما ذكرت مرارا أن هذا الكلام الذى أتلوه هو كلام الله بطريق القطع واليقين كالقرآن والتوراة وأنا نبى ظلى [1] وبروزى من أنبياء الله ، وتجب على كل مسلم إطاعتى فى الأمور الدينية . . . ولذلك خصنى الله باسم النبى . . . . إلخ [2]) .

---

(١) يفسر هذا بقوله : (أنا مرآة انعكست فيها الصورة المحمدية والنبوة المحمدية بتمامها (نزول المسيح ص ٣) . ويقول : (انعكست الكمالات المحمدية كلها مع النبوة المحمدية فى لون البروز فى مرآة ظلى (أيك غلطى كا إزاله) نقلا عن الأستاذ أبى الحسن الندوى فى كتابه القاديانى والقاديانية ص ٦٧) .

(١) انظر مواهب الرحمن ص ٤ وما بعدها ، (والقاديانى) ص ٦٧ .

اصراره على هذه الدعوى حتى وفاته :

وقد غادر الحياة وهو وكثير من أتباعه على هذه العقيدة كما كان فى حياته ، وظلوا عليها بعد موته .

ففى حياته عرفنا ما فعله أحد أتباعه « المولوى عبد الكريم » فى مواجهته بقوله : (أنا اعتقد أنك نبي ورسول ، فإن كنت مخطئا نبهنى على ذلك) ورد عليه بقوله : (هذا الذى أدين به وأدعيه) وكتابه (حقيقة الوحى) ملىء بذلك .

ومن بعده نرى إصرار كثير من أتباعه على نسبة هذه الدعوى إليه ومغالاتهم فيها ، وكتاب (حقيقة النبوة) لنجله ، والخليفة الثانى الميرزا « بشير الدين محمود » وغيره من الكتب والنشرات والمجلات طافحة بالتصريح بنبوته وإيمانهم بها . يقول نجله وخليفته بشير أحمد القاديانى : (فالمعنى التى تفهمنا إياه الشريعة الإسلامية عن النبي لا يسمح أن يكون المسيح الموعود نبيا مجازا فقط ، بل لابد أن يكون نبيا حقا إنا نؤمن بنبوة ميرزا عليه السلام) [1] .

وماذا بعد ادعائه النبوة ؟

ويتمادى فى زعمه إلى حد التطاول ، وتجاوز مقام سيد المرسلين — صلى الله عليه وسلم — فيقول : (لقد تجلت روحانية النبي — صلى الله عليه وسلم — فى الألف الخامس (كذا) بصفات إجمالية ، ولم تكن الروحانيات قد بلغت غايتها وأوجها فى ذلك العهد القاصر ،

---

(١) كلمة الفصل رقم ٣ ج١٤ ص ١١٠ نقلا عن المسألة القاديانية للأستاذ المودودى .

بل كانت الخطوة الأُولى فى سبيل ارتقائها وكمالها ، ثم تجلت هذه الروحانية فى الألف السادس (زمن المسيح الموعود : غلام أحمد) فى أبهى حللها وأرقى مظاهرها) .[1]

وفى هذا الكلام الخطير المجنون فوق مافيه من تطاول تقرير منه لدعوى التناسخ والحلول ويزيد هذا الأمر وضوحا عنده قوله : (إن مراتب الوجود دائرة ، وقد ولد إبراهيم – عليه السلام – بعادته وفطرته ومشابهته القلبية ، بعد وفاته بنحو ألفى سنة وخمسين ، فى بيت « عبد الله بن عبد المطلب » وسمى بمحمد – صلى الله عليه وسلم)[2] .

ثم يقول فى مكان آخر :

(وتحل الحقيقة المحمدية وتتجلى فى متبع كامل . . . .

وقد مضى مئات من الأفراد تحققت فيهم الحقيقة المحمدية ، وكانوا يسمون عند الله عن طريق الظل محمدا وأحمد . . . . . إن الله أرسل رجلا كان أنموذجا لروحانية « عيسى » وقد ظهر فى مظهره وسمى « المسيح الموعود » لأن الحقيقة العيسوية قد حلت فيه ، ومعنى ذلك أن الحقيقة العيسوية قد اتحدت به) .

ولا يقتصر أمره فى هذا الشأن على جانب الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – بل إنه : (يتلبس بروح السيد المسيح ، وروح كرشنا رب الخير عند البراهمة ، كما يتلبس بأرواح غيرهم من

---

(١) من خطبته الالهامية ص ١٧٧ .   (٢) ترياق القلوب .

الصالحين) [1] . وأكثر من ذلك، أن الله ألهمه (أنت نبي بمنزلة ولدى) [2] (أنت نبي وأنا منك ظهورك ظهورى) [3] (يحمدك الله من عرشه ويمشى إليك) [4] . ويترقى فى مزاعمه وأوهامه فيزعم لنفسه تفوقا على مقام الأنبياء – صلوات الله عليهم – فيقول :

(لقد أعطيت نصيبا من جميع الحوادث والصفات التى كانت لجميع الأنبياء ، سواء كانوا من بنى إسرائيل أو من بنى إسماعيل ، وما من نبي إلا أوتيت قسطا من أحواله أو حوادثه . . . .

لقد أراد الله أن يتمثل جميع الأنبياء والمرسلين فى شخص رجل واحد وإننى ذلك الرجل) [5] .

ويلتقط أتباعه هذه المنازع الفاجرة ويؤمنون بها عقيدة ، ويعلنون متبجحين : تفضيل الغلام القاديانى على أكثر الأنبياء أولى العزم من الرسل ، فضلا عن الصحابة ، وأولياء هذه الأمة ومجدديها وأئمتها ، ولا يعترفون بفرق بين أصحابه وأصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ويقولون بمساواته لسيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم – وزيادة ، ومساواة خلفائه للخلفاء الراشدين ومساواة بلدد « قاديان » « بمكة و المدينة » شرفهما الله ، ومساواة الحج إلى قاديان بالحج إلى « مكة » :

(إن غلام أحمد أفضل من بعض أولى العزم من الرسل) [6] .

---

(١) الاسلام فى القرن العشرين ص ١٤٥ . (٢) حقيقة الوحى ص ٨٦ .
(٣) التذكرة ص ٦٥ .
(٤) انجام آتهم ص ٥٥ نقلا عن القاديانى للأستاذ أبى الحسن الندوى .
(٥) براهين أحمدية ج ٥ ص ٨٩ ، ٩٠ .
(٦) حقيقة النبوة لمرزا بشير أحمد الخليفة الثانى ص ٢٥٧ .

(إنه كان أفضل من كثير من الأنبياء ، ويمكن أن يكون أفضل من جميع الأنبياء)[1] .

(لم يكن فرق بين أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وتلاميذ « مرزا غلام أحمد » ، إلا أن أولئك رجال البعثة الأولى ، وهؤلاء رجال البعثة الثانية)[2] .

وهكذا ترى تخليطا فى تعاليمه وكلامه وبخاصة فى سنيه الأخيرة ، فمرة هو متناقض ، ومرة يأتى بالأعاجيب متسما فى كثير منها بطابع المناظرة والفجاجة وتسودها فى بعض الأحيان روحانية بارزة ويتبين المرء فى هذه التعاليم – إلى جانب الأنظار الهندوسية الآبدة والردّة على المؤثرات الصليبية بعامة ونمط حياته والانفعال الإيجابى الذى أثاره ذلك فيها بخاصة – صورة صوفية هندية متأخرة للإسلام ابتعثتها مؤثرات غربية حديثة[3] .

---

(١) صحيفة الفضل المجلد الرابع عشر ٢٩/٤/١٩٢٧ .
(٢) صحيفة الفضل المجلد الخامس ٩٢/٢٨/٥/١٩١٨ .
(٣) انظر دائرة المعارف الإسلامية ص ٤٠٥ ط الشعب .

الفصل الخامس

مضمون دعوى النبوة

تمهيد (١) :

المتابع لكلامه وآرائه من خلال ما كتب يخلص منها إلى تحديد معالم دعواه ومضمونها .

وأساس ذلك – بعد دعاوى التجديد والمهدية والمسيحية – : أنه نبي ورسول يجب الإيمان به وإنكار ذلك عليه كفر ، وأن عناصر هذه النبوة المدعاة قد اكتملت له من وحى وأمر ونهى ومعجزات .

وهو إذ يعرض لمسائل الإيمان عقائد وشرائع ، يخلط بين الحق والباطل ويتخبط فى تقريرها بالصواب والخطأ والتحريف والتبديل والزيادة والنقص ، لذلك كان من الأنسب عرض آرائه بأسلوبه ومن واقع ما كتبه ، متغاضين عما فى أسلوبه من ركاكة فى التعبير .

عقيدته فى الألوهية :

يقول : (ومما يجب على جماعتى اتباعه (٢) أن يعرفوا عن يقين : أن لهم إلها قادرا أو قيوما ، وخالقا للكون كله ، أزلى الصفات وأبديها ، لا يخضع للتطور ، ولا يلد ولم يولد ، وهو يسمو بذاته عن أن يتألم أو يصلب أو يموت ، إنه قريب على بعده وبعيد على قربه ، هو متعدد المظاهر على توحده ، كلما طرأ على الإنسان تطور

(١) اقتصرنا فى هذا الفصل على بعض آرائه فى أمهات المسائل ثم ناقشناها فى الفصول التالية .

(٢) من هو الأحدى أو التعليم لمرزا غلام أحمد ص ١ ، ٢ .

روحانى تجلى الله له بمظهر جديد ، وعامله طبقا لذلك التطور الجديد ، ومن ثم يرى الإنسان أن الله تعالى يتغير له حسب تغيره هو ، لكنه لا يصح أن تكون ذاته — عز وجل — قد تعرضت لهذا التطور ، بل إنها غير متغيرة ، وكاملة تمام الكمال منذ الأزل ، غير أن الإنسان إذا تقدم نحو التطور الروحانى ، قابله الله بالمثل ، وإذا رأى منه التقدم فى هذا الطريق ، ظهر له بمظهر من القدرة أرق . ولا تتجلى قدرته الخارقة للعادة إلا إذا حصل التطور بذات الصفة [1] ، وهذا هو الأصل فى المعجزات والخوارق . . .

(إن إلهنا هو فردوسنا لأن وجوده يحوى جميع الملذات وجماله يبز جميع الحسان ، هذا الكنز حقيق بأن نصيبه ولو ببذل النفس ، وهذه الدرة جديرة بأن نحرزها ولو بفقد وجودنا — يأيها المحرومون . اسعوا إلى هذا النبع الدفاق ، لأنه سيطفئ غليلكم ، إنه لنبع الحياة الذى ينقذكم من الموت) .

عقيدته فى الرسول وشريعته :

حين ادعى النبوة والرسالة على النحو الذى أسلفنا بدا له خطورة هذا الأمر وخشى خيبته وفشله فى دعواه لدى الخاصة والعامة ، فادعى أن رسالته مؤيدة للإسلام لا ناسخة لشريعته . ويقول : (أمّاما يطلب الله منكم من ناحية العقائد : هو أن تعتقدوا أن الله واحد لاشريك

---

(١) هــذا يقرب معنى (كسب النبوة عنده) وقد سبقت له إشارات بأنها تكون ان اكتمل له الاتباع .

له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وهو خاتم الأنبياء وأفضلهم أجمعين ، فلا نبي بعده ، إلا من خلع عليه رداء المحمدية على وجه التبعية ، لأن الخادم لا يغاير مخدومه ، ولا الفرع بمنفصل عن أصله) .[1]

عقيدته في القرآن الكريم :

(ألا تضعوا القرآن كالمهجور[2] ، لأن لكم فيه حياة ، إن يعظمون القرآن سيلقون العزة والكرامة في السماء ، وإن الذين يفضلون القرآن على كل حديث ورأى سيفضلون في السماء ، لا كتاب لبني الإنسان اليوم على وجه هذه البسيطة إلا القرآن ، فانتبهوا ولا تخطوا ضد أوامر الله وتعاليمه في القرآن خطوة . إلا الحق والحق أقول : من نقض أيسر وصية ن وصايا القرآن السبعمائة فقد حرم نفسه من النجاة . إن القرآن هو الهادي إلى سبل السلام والنجاة ، أما سائر الطرق فإنما هي أظلال[3] ، فتدبروا القرآن واحبوه حبا ما أحببتموه أحدا ، لأن الله — عز وجل — خاطبني قائلا : « الخير كله في القرآن » أي وربي ، إنه لحق ، فيا حسرة على الذين يؤثرون عليه غيره . يأيها الناس إن منبع فَلَاحكُم ونجاحكم في القرآن وحده ، ما من حاجة من الحاجات الدينية إلا وتوجد على أكمل وجه . . ولا ترفضوا دعوة القرآن الذي يريد أن يشرفكم بالنعم التي أوتيها الأولون ، بل قد أراد الله أن يعطيكم أكثر منهم وأعظم ، ولقد أورثكم متاعهم الروحاني والجسماني ، ولكن ليس لأحد أنينتزعه منكم بالوراثة إلى يوم القيامة ، ولن يحرمكم الله من الوحي والمخاطبة) .

---

(١) من هو الأحدي ص ٦ .
(٢) المصدر السابق ص ٤ و ١٥ .
(٣) اظلال يعني بها جمع (ظل) .

رأيه فى تفسير القرآن الكريم :

يقول فى الخطبة الإلهامية : (أم يقولون إنا لا نرى ضرورة مسيح ولا مهدى ، وكفانا القرآن وإنا مهتدون ، ويعلمون أن القرآن لا يمسه إلا المطهرون ، فاشتدت الحاجة إلى مفسر زكى من أيدى الله ، وأدخل فى الذين يبصرون [1]) .

وهذا نمط من التفسير الذكى فى نظره للقرآن الكريم :

(تفسير منطق الطير فى قوله تعالى : « وعلمنا منطق الطير » : حمل الطيور للرسائل من مكان إلى مكان كالحمام الزاجل .

وتفسير وادى النمل بأنها موضع فى نواحى اليمن .

والنملة : بطن من بطون العرب ، أو أمة كانت تسكن فى وادى النملة .

(والمراد بالجن فى قوله تعالى : (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) : طائفة من البشر اجتمعوا بالنبى – صلى الله عليه وسلم – فى الخفاء ، وليس المراد به نفوسا لا يقع عليها البصر ، وقد جاءوا من الخارج ، وكانوا أجانب وغرباء ولذلك سموا جنا . والمراد بذلك فى قوله تعالى : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) : يظهر أنهم كانوا نصارى وقد

---

(١) طائفة القاديانية لشيخ الاسلام المرحوم الأستاذ محمد الخضر حسين ص ٧٠.

جاء ذكرهم على طريق النبوءة ، ويكون المراد : شعوبا مسيحية تبلغ الذروة فى العظمة والرقى ، فتصبح بذلك جنا وعفاريت وعباقرة (١) (فى القوة والصنعة) ويؤمن بعض طوائفها بالقرآن .

عقيدته فى السنة والحديث :

(والذريعة الثانية من الذرائع الثلاث بعد القرآن التى وهبها الله للمسلمين هى السنة ، أى أسوة سيدنا ومولانا محمد — صلى الله عليه وسلّم — فى أعماله ، التى مثل بها أحكام القرآن تمثيلا فعليًا .

مثلا لا يعرف من القرآن فى بادىء النظر عدد ركعات الصلوات الخمس ومواقيتها ، ولكن السنة كشفت الغطاء عن هذا الإجمال : ولا يخدعنى أحد بالظن : أن الحديث والسنة كلاهما واحد ، مع أن الحديث لم يدون إلا بعد قرن ونصف من عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — لكن السنة كانت قد وجدت بوجود القرآن ، إن أعظم نعمة بعد القرآن المجيد هى السنة .

إن واجب الله وواجب الرسول نحو القرآن أمران اثنان : أولهما قد تم بإرسال التنزيل الحكيم ، الذى يعبر عن إرادته عز وجل فى الأرض ، أما ثانيهما فقد أنجزه — صلّى الله عليه وسلم — بأنْ مَثّل للناس أحكام القرآن تمثيلًا محكما ، وأوضحهما إيضاحا تاما ، فكأنّه حول القوة إلى صورة العمل ، وحل بأسوته معضلات المسائل ومشاكلها .

---

(١) بيان القرآن ج ٣ ص ١٤٠٩ ، نقلا عن القاديانى لأبى الحسن الندوى ص ١٣٤ وهذا التفسير لمحمد على — أمين جماعة القاديانية ، وأحد خلفاء المرزا ، وزعيم شعبة لاهور .

ولقد أخطأ من قال : إن حلها كان مقصورا على الحديث وحده ، وذلك لأن الإسلام كان قد تأسس قبل وجود الحديث ، أما كان الناس يصلون ويزكون أموالهم ويحجون ويعرفون الحلال من الحرام قبل تدوين الحديث ؟

نعم إن الذريعة الثالثة للاهتداء هى الحديث ، لأن الأحاديث تبين عن الإسلام كثيرا من الأمور التاريخية والفقهية ، وعلاوة على ذلك فإن أكبر فائدة للأحاديث : أنها تخدم القرآن والسنة كليهما ، والذين لاينظرون إلى القرآن نظرة الإجلال والاحترام يعتبرون الحديث حكما عليه ، كما اتخذ اليهود أحاديثهم حكما على التوراة ، أما نحن فنرى الأحاديث تابعة للسنة والقرآن .

رأيه فى العبادات :

(... فأقيموا صلواتكم الخمس فى تضرع وانتباه كأنكم فى حضرته — عز وجل — وأتموا صيامكم لله فى صدق ، ومن استحقت عليه الزكاة فليؤد زكاته ، ومن وجب عليه الحج فليحج إذا استطاع إلى ذلك سبيلا . قوموا بالعمل الصالح حذرين وانبذوا المنكر متبرئين ، واعلموا يقينا أنه لن ينال الله عمل لا تدعمه التقوى ،إن التقوى قوام كل عمل صالح ، إذا تم فى ظلها كتب له البقاء ، لتبلون بضروب من الآلام والآفات كما ابتلى من سبقكم من الأمم ، فإياكم أن تزل قدمكم ، إذا كنتم على صلة وثيقة مع الله فان تضركم الأرض شيئا) .

رأيه فى السلوك والطرق الصوفية :

(... إنكم حزب الله الأخير فأقبلوا على أعمال هى على غاية من الجودة والكمال ، كل من يتخاذل منكم ويتكاسل سيلفظ من الجماعة كشىء بخس ، ويموت حسرة وأسى ، ولن يضر الله شيئا ..

إن الذى قلبه عالق بالأطماع الدنيوية حتى لايكاديرفع بصره نحو الآخرة هو ليس من جماعتى ، وليس من جماعتى من لا يؤثر الدين على الدنيا حقا ، وكذلك من لا يتوب توبة صادقة عن جميع السيئات والمنكرات من احتساء الخمر والمقامرة والغمرات الآثمة ، والخيانة والرشوة ، ومن كل تصرف شائن يتجاوز حدود الشريعة ومن لا يلتزم بأداء الصلوات ، فليس من جماعتى . . . . . .

وليس منى من نقض شيئا مما عاهدنى عليه عند البيعة ، ومن لايعتقدنى مسيحا موعودا ، أو مهديا معهودا ، فليس من جماعتى ....

كذلك أن مشايخ الطرق وأخلاقهم لفى غمرة من الغفلة والبدعات ، ولايعرفون ماداهم الإسلام من المصائب والآفات فإذا حضرت مجتمعاتهم وجدت هناك بدلا من القرآن المجيد والأحاديث ضروبا من الرباب والعود والدفوف ، والمطربين والمطربات ، وغير ذلك من وسائل اللهو المبتدعة ، لكنهم مع ذلك كله يدعون زعامة المسلمين ويصلفون باتباع النبى — صلى الله عليه وسلم — لكل أن يزعم بحب الله ،لكن حب الله الخالص لا يتحقق لأحد إلا إذا صدقه الله من السماء) (١) .

(١) - التعليم ص ٦ ، ٧ ، ٢٥ .

رأيه في المرأة وبعض قضاياها :

(... إن النساء فى عصرنا الحاضر قد أصبحن نهبا لبدعات ، هن يرين قضية تعدد الزوجات بنظرات ملؤها الاستياء والنفوز كأنهن لا يعتقدن بذلك ، لعلهن لا يعرفن أن شريعة الله الكاملة تتضمن كل وصف من العلاج ، فلو كانت الشريعة لم تهتم بتعدد الزوجات لكانت مقصرة فى الظروف التى يضطر فيها الرجل إلى زواج ثان ، خذوا مثلا المرأة التى تجن ، أو تصاب بالجذام ، أو تتعرض لعاهة تعطل جهاز الولادة ، أو تكون فى حالة عقر يرثى لها ، أو يكون الرجل كذلك فى حالة تدعو إلى الترحم ، إذ لا يقدر على التجرد ، فعندئذ ـ والحالة هذه ـ من الظلم أن نحظر الرجل من زواج ثان ، والحق أن الله ـ عز وجل ـ أذن للرجل ـ نظرا لهذه الأوضاع ـ أن يسلك هذا الطريق ، وقد فتح الله نفس الطريق للمرأة أيضا إذا اضطرت لذلك ، أن تخلع عن الرجل بواسطة الحاكم ، إذا وجدت الرجل عاطلا ، العمل الذى يقوم من قبلها مقام التطليق . . . انظرن الإنجيل الذى اقتصر الطلاق على الزنا فقط ، وأغفل مئات من العوامل التى تؤدى إلى أخطر العداء بين الرجل والمرأة ، ولذلك لم تحتمل الأمم المسيحية هذه الربقة طويلا) .

رأيه فى الحضارة :

(فلا تقلدوا غيركم من الأمم التى ترامت على الوسائل المادية وتغذت بالوسائل الأرضية كما تتغذى الحية بالثرى ، وانتهشت من جيفة الدنيا كما تنهش الكلاب والنسور ، إنهم ابتعدوا عن الله ببون شاسع

وعبدوا الإنسان ، انكبوا على شرب الخمر وأكل الخنزير فى نهم ، وماتوا موتة روحانية باندفاعهم الشديد إلى مجرد الوسائل واستغنائهم عن الاستعانة بالله ، وفارقتهم الروح السماوية كما تفارق الحمام أعشاشها ، إن جذام المادية قد قضى على كيانهم الباطنى ، فإياكم وهذا الجذام [1] إنى لست أنهاكم عن اتخاذ الوسائل إلى مدى الاعتدال ، بل الذى أنهاكم عنه هو أن تستهويكم هذه الوسائل حتى تستعبدكم ، وتنسوا خالقكم الذى هو خالق هذه الوسائل ، ولو كانت لكم أعين تبصرون بها لرأيتم أن الله هو كل شىء ، وأن جميع الكون تافه تجاهه . . . .

ألا لا تقلدوا الأمم الأخرى حين تحدثكم أنفسكم : أنها قد بلغت من التقدم فى الوسائل المادية شأوا بعيدا فهلم نندفع وراءهم . اسمعوا وعوا : إنهم فى غفلتهم وزهوهم ساهون عن الإله الذى يهيب بكم للنجاة . ماهو إلههم ؟ ليس إلا إنسانا ضعيفا ، فهم فى غمرة جهلهم تائهون . . . . كذلك من الواجب عليكم ألا تنقادوا لفلاسفة الدنيا ، ولا تنظروا إليهم نظرة الإجلال ، لأن نظرياتهم جهالات كلها ، والفلسفة الحقيقة هى التى علمكم الله إياها فى القرآن ، إنه قد هلك من هو مغرم بهذه الفلسفة ، وأفلح من بحث عن الفلسفة الحقيقية فى القرآن) .

---

(١) فى الأصل : « الجزام » — بالزاى — وهو تصحيف .

رأيه فى الجهاد :

وإذا كان هو — فى زعمه — مسيح هذه الأمة ، فإنه يعمل فى هذه المسألة — فى زعمه — اتباعا للرسول — صلى الله عليه وسلم — فيما أخبر به عن مسيح أمته بقوله : إنه (يضع الحرب) فبناءً عليه يقول فى خطبته الإلهامية :

(غير أن هذا الفتح — المقدر للإسلام فى آخر الزمان — لايتاح بالأسلحة المصنوعة بيد البشر — بل بالحرية السماوية التى تستعملها الملائكة .

لذلك فقد وضع الجهاد بالسيف منذ اليوم بأمر الله ، فمن رفع السيف بعد هذا على الكفار مسميا نفسه غازيا فقد عصى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الذى أنبأنا منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمان أن يوضع الجهاد بالسيف عند ظهور المسيح الموعود فلا جهاد بالسيف عند ظهورى ، وها قد رفعنا اللواء الأبيض للصلح والأمان ، وليس طريق الدعوة إلى الله واحدا فقط ، فالطريق الذى اعترض عليه السفهاء من الناس [1] لا تقتضى مشيئة الله وحكمته أن يختار نفس الطريق الآن أيضا) .

هذا الموقف الشاذ لاشك يخرج فيه عن دواعى الدين ، ثم دواعى الوطنية ، فيمد الحكومة الإنجليزية بهذه الفتوى وأمثالها ، فى

(١) مقتبس من صميم الخطبة الالهامية نقلا عن (مؤسس الجماعة الأحمدية والانجليز) ص ٨٢ .

ظروف حالكة يحتاج فيها المسلمون إلى بعث الثقة فى أنفسهم ذلك أن لموضوع الجهاد والفتوى بشأنه حديثا طويلا يتعلق بعضه بالمستعمر والثورة عليه والجهاد ضده ، وكان شاه « عبد العزيز دهلوى » أول من أصدر الفتوى سنة ١٨٠٣م[1] ونادى فيها بوجوب الجهاد ضد الانجليز ، وسار العلماء على نمطها فى فتاواهم ، ثم كانت ثورة ١٨٥٧م وما انتهت إليه ، وظل المستعمر فى الهند آنذاك يخشى فكرة الجهاد والمجاهدين ، لذا لجأ إلى بعض العلماء يصطنعهم لاستصدار فتاوى بشأن الجهاد فى الهند وهل يجوز أوْ لا ؟ .

وأصدر البعض الفتوى : بأن الجهاد فى حالة عدم التكافؤ بين قوة المسلم وقوة المستعمر عبث ومضيعة للنفس والمال ، وأن المستعمر مادام لا يتدخل فى إقامة الصلاة وأداء الفرائض فلا تكون البلاد بلاد حرب .

وشتان بين فتوى بهذه الصورة ، وبين كلام المرزا بوضع الجهاد بالسيف تماما عند ظهوره والذى يتوقع نتيجة له بقوله : (وإنى لعلى يقين بأنه بقدر ما يكثر من أتباعى يقل المعتقدون بمسألة الجهاد فإن مجرد الإيمان بى هو إنكار للجهاد)[2] .

وهو إذ يرى أن الجهاد قد انتهى واستنفذ أغراضه ، فإن رأيه هذا من المسائل التى ثار حولها نقاش كبير وتفسيرات طويلة ومتشعبة بينه وبين المنكرين عليه ، وامتد جبل النقاش إلى أتباعه من بعده مفسرين لرأيه ومبررين لمذهبه فيه .

---

(١) انظر كفاح المسلمين فى تحرير الهند ص ٣٠ للدكتور عبد المنعم النمر .

(٢) تبليغ الرسالة جـ ٧ ص ١٧ مطبوع فى قاديان سنة ١٩٢٢م .

ويرتبط رأيه فى الجهاد أساسا بعاملين :

العامل الأول : طبيعة الظروف التى كانت تحياها الهند ، والمسلمون بخاصة فى ظل حكومة استعمارية غاشمة ، تملك مقدرات البلاد بعد معارك عنيفة صلى المسلمون بوجه خاص لظاها ، وتحملوا الجانب الأكبر من أعبائها وتضحياتها .

العامل الثانى : ويبدو واضحا فى تكوين فكرته هذه عن الجهاد وهو أثر ادعائه المسيحية الجديدة والنبوة المزعومة ، إذ رأى فى ظلها : استنفاد الجهاد لأغراضه فلا داعى له الآن فيقول : (أنا لا أعتقد أنى مهدى هاشمى قرشى سفاح ينتظره الناس من بنى فاطمة يملأ الأرض دما ، ولا أرى مثل هذه الأحاديث صحيحة بل هى كومة من الموضوعات، نعم ، أدعى لنفسى : أننى أنا المسيح الموعود الذى يعيش متواضعا مثل المسيح ، متبرئا من القتال والحرب كاشفا عن وجه ذى الجلال بالطريق السلمى والملاطفة ، ذلك الوجه الذى احتجب عن أغلب الأمم ، إن مبادئى وعقائدى وتعليماتى لا تحمل طابع المحاربة أو العدوان ، وأنا متأكد من أن أتباعى كلما زاد عددهم قل عدد القائلين بالجهاد المزعوم ، لأن الإيمان بى كمسيح ومهدى معناه رفض الجهاد)[1] .

---

(١) تبليغ الرسالة ص ١٧ انظر مناقشة موضوع الجهاد وتحرير القول فيه فى الباب الثالث المسألة الرابعة من الفصل الثانى .

رأيه فى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم :

ثم يذهب فى تفسير الحروب والغزوات التى قام بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى تقرير الأمور الآتية :

قد تكرر فى القرآن مرارا أنه لا مكان للإكراه فى الدين ، وهو يبين صراحة أن الحروب التى حصلت فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تكن تهدف إلى نشر الدين بالقوة ، بل إنما كانت : إما عقابا للجناة المعتدين الذين قتلوا طائفة من المسلمين ، ونفوا عن الأوطان طائفة أخرى ، وبلغوا من الظلم والوحشية مبلغا خطيرا ، كما يقول الله عز وجل : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) .

أو كانت دفاعية وذلك عندما كان الأعداء يزحفون للقضاء على الإسلام بالقوة ، وكانوا يتدخلون فى الحرية الدينية بالقوة كذلك .

أو كانت تلك الحروب لتعميم الحرية فى البلاد وتأمين حقوق أهلها ، ولم يحارب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا خلفاؤه الراشدون إلا على أساس أحد هذه العوامل الثلاثة ، بل إن الإسلام قاسى من الظلم والعدوان مالم يسبق له مثيل فى الأمم الأخرى ، لكن رغم ذلك ما هذان المسيح والمهدى اللذان لن يلبثا أن يشرعا فى قتل الناس ؟) .

رأيه فى أتباعه :

بهذا الإطار من الأفكار وضع الفيصل بين أتباعه ومخالفيه .

(اعلموا أن مجرد التفوه بالبيعة ليس بشىء ، مالم يكن مصحوبا بالعمل عن عزيمة القلب ، فالشخص الذى يتبع تعليماتى حق الاتباع هو الذى سيدخل الدار التى بشر عنها الوحى قائلا : إنى أحافظ كل من فى الدار ، ولا يذهبن ذلك بأحد إلى أن القاطنين فى دارى هم أولئك الذين يسكنون دارى المادية من مدر وآجر ، بل الذين يتبعوننى فى صدق وإخلاص ، أولئك أيضا داخلون فى كنفى الروحانى) .

ونتيجة هذا الحصار – الذى أقامه ، وعزل به نفسه وأتباعه عن المجتمع الإسلامى – مزيد من الانحراف والغلو أفضى به وبهم إلى نتائجه المنطقية . . .

فقطعوا صلاتهم بالمسلمين ، ونظموا أنفسهم تنظيما مستقلا عنهم : كأنهم أمة ليست منهم فى قليل ولا كثير ، وذلك مما تشهد به كتابات القاديانيين أنفسهم :

(وقد أكد المسيح الموعود النهى عن صلاة الأحمديين خلف رجل من غير الأحمديين ، وكثيرا ماترد علىّ من الخارج رسائل يسألنى أصحابها عن هذا الأمر المرة بعد المرة ، ولذلك فإنى أقول لهم : مهما أعدتم على السؤال عن هذا الأمر ، فإنى لن أجيبكم إلا بأنه لا تجوز ، لا تجوز ، لا تجوز الصلاة خلف رجل من غير الأحمديين [1]) .

---

(١) أنوار خلافت ص ٨٩ .

(١) من الواجب علينا ألا نعتقد بإسلام غير الأحمديين ، وألا نصلى خلفهم ، إذا أنهم عندنا كافرون بنبي من أنبياء الله) .

(٢) إذا مات ولد لرجل من غير الأحمديين ، فلماذا ينبغى علينا ألا نصلى عليه فى حين أنه ليس بكافر بالمسيح الموعود ؟ وأنا بدورى أسأل من يلقى على هذا السؤال : إن كان ذلك جائزا فلماذا لا نصلى على أولاد الهنادك والنصارى عند موتهم ؟ إن ابن هذا الرجل من غير الأحمديين ليس إلا واحدا منهم ، ولذلك لا تجوز الصلاة عليه أيضا).

(٣) وقد أبدى المسيح الموعود سخطه العظيم على أحمدى يريد أن يزوج ابنته رجلا من غير الأحمديين ، وقد سأله رجل عن ذلك مرة بعد مرة ، وعرض عليه ضروبا من الأعذار ، ولكن لم يجب فى كل مرة إلا بقوله : أمسك عليك بنتك ولا تزوجها رجلا من غير الأحمديين ثم إن هذا الرجل زوج ابنته بعد وفاة المسيح الموعود رجلا من غير الأحمديين ، فعزله الخليفة الأول عن إمامة الأحمديين ، ولم تقبل له توبة فى ست سنين من سنى خلافته مع أنه لم يزل يتوب من فعلته مرة بعد مرة) .

(٤) لم يبح المسيح الموعود معاملة غير الأحمدين إلا بما عامل به به النبي الكريم النصارى ، وقد فرق بيننا وبين غير الأحمديين فى

---

(١) أنوار خلافت ص ٩٠ .

(٢ ، ٣) المصدر السابق ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٤) كلمة الفصل المنشورة فى ريويو آف ريجلنز ص ٦٩ .

الصلاة ، وحرم علينا أن نزوجهم بناتنا ، ونهينا عن الصلاة على موتاهم ، فأى شيء قد بقى الآن نشاركهم فيه ؟ إن العلاقة بين الناس علاقتان : علاقة دينية ، وعلاقة دنيوية ، فأكبر وسيلة من وسائل العلاقة الدنيوية هى التزاوج ، وقد حرمت علينا كلتا هاتين الوسيلتين.

فإن قلتم : إنه يجوز الزواج من بناتهم . قلت : نعم ، ويجوز أيضا أن نتزوج من بنات النصارى . فإن قلتم : لما ذا يجوز السلام على غير الأحمديين ؟ قلت : قد ثبت من الحديث أنه قد يرد النبى – صلى الله عليه وسلم – حتى على اليهود سلامهم أحيانا) .

ولم يقف أمر قطع الصلات والروابط بالمسلمين عند حد الكتابة والخطابة فحسب ، بل إنه مما يشهد به مئات الألوف من أهل البلاد ، أن القاديانيين قد انفصلوا عن المسلمين انفصالا واقعيا فعليا أيضا ، وأنهم قد أصبحوا أمة مستقلة تماما عنهم ، فهم لا يشتركون معهم بالفعل فى الصلوات المكتوبة ، ولا فى الصلاة على الموتى ولا فى التزاوج ... ،

(وبما أننا نؤمن بنبوة ميرزا عليه السلام ، وغير الأحمديين لا يؤمنون بها فكل رجل من غير الأحمديين كافر بحسب ما جاء فى القرآن إذ أن الكفر ولو بنبى واحد هو الكفر .

ويقول غلام أحمد : (إننا نخالف المسلمين فى كل شيء : فى الله ، فى الرسول ، فى القرآن فى الصلاة ، فى الصوم ، فى الحج ، والزكاة ، وبيننا وبينهم خلاف جوهرى فى كل ذلك)[1] .

---

(١) أنظر (الفضل ٣٠ يوليو سنة ١٩٣١م) وهى لسان حالهم ، ومن هذا يتبين أن ، كثيرا من آرائهم التى عرضناها فى الباب الثانى لم تكن موضع تطبيق لديهم إذ ينقضونها بأفعالهم وكلامهم أيضا .

فلا يقتصر القاديانيون على قولهم بأنهم مخالفون للمسلمين فى أمر نبوة ميرزا غلام أحمد فحسب ، بل هم يقولون أيضا إنه ليس هناك من شىء يجمع بينهم وبين المسلمين ، فربهم غير رب المسلمين ، وإسلامهم غير إسلامهم ، وقرآنهم غير قرآنهم ، وصلاتهم غيرصلاتهم ، وصومهم غير صومهم . . إلخ .

وإذ بلغ بنفسه وبأتباعه هذا الحد فقد وجدوا أنفسهم فى غربة من العقيدة والوطن ، وولاؤهم كله لعدو دينهم ووطنهم من المستعمرين الإنجليز ويعبر عن ذلك بقوله : (لا يمكننى أن أقوم بعملى هذا خير قيام فى مكة ولا فى المدينة ولا فى الروم ولا فى الشام ولا فى فارس ولا فى كابل ولكن تحت هذه الحكومة التى أدعوا لها دائما بالمجد والانتصار [(١)] .

موقفه من المسيح عيسى بن مريم عليه السلام :

(لو لم تكن فيكم بعض الأخطاء ، ولم تكونوا قد أولتم بعض الأحاديث تأويلا خاطئا ، لكانت بعثة المسيح الموعود الذى هو الحكم لغوا .

إن الخطب الذى تزعمون أن المسيح ينزل لأجله من السماء ـ أى أن المسيح والمهدى سيقاتلان الناس حتى يسلموا ـ والله إنها لعقيدة تسىء سمعة الإسلام أيما إساءة . هل فى القرآن ما يبرر الإكراه فى الدين ؟ كلا ! بل القرآن ينفى ذلك نفيا باتا إذ يقول الله فيه : (لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّين) ، فإذن كيف يخول « المسيح بن مريم » بسلطات الإكراه؟

(١) تبليغ الرسالة جـ ٦ ص ٦٩ .

(واعرفوا حق المعرفة أن عيسى – عليه السلام – قد توفى ، وأن قبره لموجود فى « سرينكر » كشمير حارة خافيار ، ولقد أخبر الله ، بوفاته فى كتابه العزيز ، ولست أنكر مكانة المسيح الناصرى ، وإن كان الله قد أنبأنى بأن المسيح المحمدى أفضل من المسيح الناصرى .

لكننى مع ذلك أكرم المسيح إكراما لأنه خاتم الخلفاء فى الأمة الموسوية كما أننى خاتم الخلفاء فى الأمة المحمدية ، كذلك كان المسيح الناصرى موعودا للملة الموسوية كما أنا المسيح الموعود للملة الإسلامية ، فأنا أهتم بكرامة من هو سميى ومثيلى ، وكذاب ذلك الشخص الذى يتهمنى بإهانته)[1] .

موقفه من الانجليز وآثاره :

عرضنا لبعض مواقف أسرته من الحكومة الإنجليزية ، وكيف كانوا يرون أنها أسرتهم بمعروفها برد بعض ممتلكاتهم إليهم ، مما يسجله هو بقوله : (ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنا من خدامها ونصائحها ، ودواعى خيرها من قديم ، وجئناها فى كل وقت بقلب صميم ، وكان لأبى عندها زلفى وخطاب التحسين ، ولنا لدى هذه الدولة أيدى الخدمة) .

(ولا نظن أن ننسها – كذا – فى حين ، وكان والدى الميرزا « غلام مرتضى » ابن الميرزا « عطا محمد » القاديانى من نصحاء الدولة وذوى الخلة عندها ومن أرباب القربة ، وكان يصدر

---

(١) التعليم ص ٧ ، ٢٣ .

على تكرمة العزة ، وكانت الدولة تعرفه غاية المعرفة ، وما كنا قط من ذوى الظنة بل ثبت إخلاصنا فى أعين الناس كلهم ، وانكشف على الحاكمين وتستطلع الدولة حكامها الذين جاءونا ولبثوا بيننا كيف عشنا أمام أعينهم ، وكيف سبقنا فى كل خدمة مع السابقين)[١] .

ثم يقول : (والمأمول من الحكومة أن تعامل هذه الأسرة التى هى من غرس الإنجليز أنفسهم ومن صنائعهم بكل حزم واحتياط وتحقيق ورعاية وتوصى رجال حكومتها أن تعاملنى وجماعتى بعطف خاص ورعاية فائقة)[٢] .

ويواصل هو — بعد أسرته — تدعيم هذه العلاقة ويزيدها تأكيدا بالتقرب إليهم ، والتفانى فى خدمتهم بكل سبيل ، ويعرض علينا نمطا من هذه الخدمات بقوله : (لقد ألفت عشرات من الكتب العربية والفارسية والأردية أثبت فيها أنه لا يحل الجهاد أصلا ضد الحكومة الإنجليزية التى أحسنت إلينا ، بل بالعكس من ذلك يجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة بكل إخلاص ، وقد أنفقت على طبع هذه الكتب أموالا كبيرة ، وأرسلتها إلى البلاد الإسلامية ، وأنا عارف أن هذه الكتب قد أثرت تأثيرا عظيما فى أهل هذه البلاد (الهند) وقد كون أتباعى جماعة تفيض قلوبهم إخلاصا لهذه الحكومة والنصح لها — إنهم

---

(١) نور الحق ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) تبليغ الرسالة المجلد السابع ص ١٩ — ٢٥ .

على جانب عظيم من الإخلاص ، وأنا أعتقد أنهم بركة لهذه البلاد ، ومخلصون لهذه الحكومة ومتفانون فى خدمتها[١] .

وهكذا يظهرون فى كل الظروف ولاءهم الخالص للحكومة البريطانية[٢] ، ثم يكر على ماض له فى الانتصار للإسلام ضد المبشرين من طلائع المستعمرين فيبرر حدته فى هذه المعارك مع المبشرين بقوله :

(لقد غلا بعض القسس والمبشرين فى كتاباتهم وجاوزوا حد الاعتدال ووقعوا فى عرض رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وخفت على المسلمين الذين يعرفون بحماستهم الدينية أن يكون لها رد فعل عنيف أن تثور ثائرتهم على الحكومة الإنجليزية ، ورأيت من المصلحة أن أقابل هذا الاعتداء بالاعتداء حتى تهدأ ثورة المسلمين وكان كذلك)[٣] .

ولقد كان (ميرزا) يلجأ للإنجليز ليحموه عندما يتحداه المسلمون وعلماؤهم للتناظر وإثبات نبوته ، فكان يضعف أمام تحدياتهم وكان يقبض على العلماء الذين يعلنون هذا التحدى مراوغا لهم ، فلقد أرغم الاستعمار مولاى « محمد الحسين » ومن معه على مغادرة بلدة « كودهيانه » التى نزلها « ميرزا » مبشرا فيها ، ليخلو له الجو .

---

(١) من رسالة مقدمة إلى الحكومة الانجليزية بقلمه ، نقلا عن « القاديانى » لأبى الحسن الندوى .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ص ٤٠٤ .

(٣) ترياق القلوب ص ٣١٠ .

وفى « نيودلهى » تحداه مولاى « نظير حسين » للمناظرة ، لكنه راوغه ولم يواجهه حتى لا ينفضح أمره ، وناشد علماء الهند أن يكفوا عن مهاجمته عشر سنوات كهدنة ، لكن استطاع ميرزا أن يوقف تحديهم له بأن جعل الحاكم العام للهند يصدر قانونا يحمى طائفته من الهجوم عليها ، ولقد كانت الشرطة تحوط (ميرزا) فى كل تنقلاته ، وكان يفطر علانية فى شهر رمضان ، فلقد قدم له أحد أتباعه قدحا من الشاى إبان اجتماع له فى نهار رمضان فهاج عليه الحاضرون . واعتذر لهم بأنه سهى عليه .

ولقد هاجمه « نهرو » الزعيم الهندى بعد عودته من بريطانيا بقوله : (إننى فى سفرى هذا أخذت درسا جديدا هو أننا إذا أردنا أن نضعف قوة بريطانيا علينا أن نضعف الجماعة القاديانية) فلقد كان الخليفة القاديانى « محمود أحمد » يقول مرددا أقوال ميرزا : (إن الجنة تحت ظل ذلك السيف المسلول، الذى يسل للدفاع عن الإمبراطورية البريطانية فلقد علمنا إمامنا أن ألم الحكومة البريطانية هو ألمنا ، ويتباهى بأن الأحمديين أراقوا دماءهم فى فتح العراق مع بريطانيا . . . . وهذا المنطق لايقبله شرع ولا يقره دين) . (١)

موقفه من العالم الاسلامى :

حين كانت الهند – مع بعدها فى المشرق – تتجاوب بكل صدى قريب أو بعيد مع الدعوات والحركات الإسلامية فى بلاد العرب ، وتردد فى جنباتها صدى الدعوة الوهابية ، وترامت إليها أنباء الدعوة

(١) انظر (القاديانية الخطر الذى يهدد الإسلام) ص ١٠٠ ، ١٠١ .

المهدية فى السودان ، وتطلعت إلى دعوة « جمال الدين » فى مصر ، وبدأت مع مطلع القرن العشرين تتطلع إلى دولة الخلافة ، نراه يرتبط بولائه الكامل على هذه الصورة للحكومة الإنجليزية المستعمرة .

وحين كان يرى العالم الإسلامى ميدانه الذى ستمتد إليه دعوته التى يقدمها له باسم الإسلام إلا أنه كان يرى من مصلحته أن يظل نظام الكفر جاثما فوق صدور المسلمين غالبا على أمرهم ، لأن بإمكانهم أن يجعلوا هذا النظام يطمئن إلى ولائهم وإخلاصهم له ، ثم يتمكنون فى نفس الوقت من الانسياب فى صفوف المسلمين ، والعمل على إضلال أفرادهم بكل حرية ووقاحة ، أما الأمة المسلمة الحرة المستقلة فهى فى نظرهم أرض قاحلة جدباء لا يحبونها ولا يمكن أن يحبوها من قرارة أنفسهم . . .

(فليس بخاف على الذين يدرسون تاريخ الأمم ما عاملت به الحكومة الفارسية ميرزا « على محمد باب » — مؤسس الفرقة البابية — وأتباعه المساكين ، فقد أنزلت بهم من الشدائد ألوانا لا لشىء إلا لمجرد الخلاف الدينى ، كما لا يخفى على المطلعين على الحوادث الهامة فى التاريخ ما عاملت به الحكومة التركية التى تسمى نفسها دولة أوربية « بهاء الله » — مؤسس الفرقة البابية البهائية — وأتباعه بين عامى ١٨٦٣ — ١٨٩٣م فقد زجت بهم فى غياهب سجون القسطنطينية أولا ، ثم فى سجون ايد رانوبل وعكا . إننا لا نعرف فى الدنيا إلا ثلاث

دول كبيرة [١] وقد أظهرت جميعا من العصبية الدينية وضيق النظر « الذى لا يساير هذا الزمان زمان المدنية والثقافة » ما يجعلنا نستيقن بأن حرية الأحمديين إنما هى مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتاج البريطانى).

إزاء هذه الدعاوى والمواقف الشاذة دينيا ودنيويا فى مجال العقيدة ، وما زعمه لنفسه من دعوى النبوة فى مجال الشريعة ، وما ادعاه لنفسه من حق التحريم والتحليل فى الأخلاق ، وما استباحه لنفسه من زعامة كاذبة رتب عليها حقوقا ليس أهلا لها . وفى الوطنية ، وما ارتضاه لنفسه من ارتماء فى أحضان المستعمر ، كانت النتيجة الطبيعية لهذا كله أن صار وأتباعه متقوقعين داخل إطار من الأفكار ، يخلط عقيدة الإسلام بغيرها حتى انبهمت معالمها عنده ، ويجعل أتباعه مزيجا من الناس لا يحققون لأنفسهم انتماء صحيحا إلى الأمة الإسلامية ولا إلى غيرها .

وإزاء هذا كله فلسنا أمام نبوة صحيحة ، ولا أية دعوة من دعوات الإصلاح ، ولكننا أمام خلط من الأفكار لا يقبله دين ولا عقل، فلماذا الإصرار على تقديمه باسم (نبوة) ؟

---

(١) تبليغ الرسالة ج ١ ص ١٢٣ نصيحة غالية .
والأغلب أن المراد بهذه الدول الإسلامية فى ذلك الوقت : تركيا وفارس وأفغانستان نقلا عن (المسألة القاديانية) للأستاذ المودودى .

لماذا النبوة ؟

وبعد هذا السبح الطويل فى تلك النصوص نرى أننا إزاء حق وباطل .

فهل كان ما أتى به من حق محتاجا لادعاء نبوة جديدة ليدعمه ؟

وهل كان ما زيفه من باطل فى حاجة إلى نبوة جديدة ليبرره ويدخله على الناس ؟

كلا ، إن مقام النبوة فوق عبث العابثين ، وإن هذه النبوة المزعومة ماكانت إلا لحساب الانكليز (١) ، بل وعاونها الانكليز آملين من مظاهرة هذا الغش الدينى الشعب على تعاليم الإسلام وبلبلة الأفكار وتفتيت صفوف الأمة الإسلامية باختلاق دوامات عريضة حول هذه النبوة السفيهة وأمثالها .

فلنتابع النظر فى بيت العنكبوت هذا لنرى أى خيوط رثة يتماسك بها . . .

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ص ٢٩٦ .

الباب الثالث

أصول الدعوى ودفع شبهاتها

* الفصل الأول : أصول دعوى القاديانى .

* الفصل الثانى :بيان الحق فى الوحى والنبوة .

الفصل الأول

أصول دعوى القاديانى وركائزها

خطوة الى دعوى النبوة :

أخطر ماورد فى دعوى القاديانى هو زعمه وادعاؤه النبوة لنفسه ، وتجميع الأتباع على هذه الدعوى ، حتى امتدت من بعده معتقدا لدى كثير من أتباعه ، وقد كانت هناك خطوتان لهذه الدعوى :

الخطوة الأولى :

بدأت من إقراره أن هناك أدلة على نزول المسيح عليه السلام وحيث إنه يرى ويعتقد وفاة عيسى وعدم نزوله ، وحيث إن الجمع بين هذا المعتقد وبين أدلة النزول لامجال له إلا التأويل ، فلم يكن إلا بصرف الألفاظ والمسميات عن ظاهرها إلى غيره ، فكان أن ادعى :

(ا) أن عيسى – عليه السلام – مسيح الأمة الموسوية ، وأنه قد مات ولن ينزل .

(ب) وأنه هو المسيح للأمة المحمدية وأنه يكلم ، ثم ارتقى إلى ادعاء منزلة أعلى من منزلة عيسى – عليه السلام – وإذ قد وصل إلى هذا الحد فقد انتهى إلى الخطوة الثانية .

الخطوة الثانية وكانت هى ادعاءه للنبوة .

كيف أقام نظرته للنبوة وادعاءه لها ؟ :

ثبت من عرض النصوص السابقة صحة نسبة ادعائه النبوة لنفسه وصدق صدور هذه الدعوى عنه ، وتصرفاته التى كان يأتيها تحت وهم هذا الادعاء ، ثم انسياق المغترين به حال حياته وبعد وفاته .

وإذ قد ثبت ادعاؤه فعلى أى أساس أقام فى نفسه هذا الوهم ؟

لقد ارتكز فى هذا المدعى — أساسا — على إمكان النبوة بعد سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — ويقتضى المقام بيان مفهوم النبوة عنده ، ثم بيان ماسماه أدلة ، وتفنيدها .

مفهوم النبوة عنده وما ارتكز عليه فى ادعائها :

لقد كان فى تصديه — فى مبدإ نشاطه — للدفاع عن الإسلام والمناظرة مع أرباب الديانات والملل الأخرى خطوط فكرية سليمة وواضحة ، عرضنا لبعضها إلا أنه كان يتخللها بذور سامة ، تغاضى عنها بعض العلماء ، وحملوها على التأويل ، إعجابا بدفاعه عن الإسلام وتزكية لنشاطه فى هذا المجال ، وتنبه لها بعض العلماء وبدءوا يدقون نواقيس الخطر حوله ، بل وتعرضوا له بالتفنيد والنقد والهجوم ، وكان هو أقسى منهم فى الرد عليهم والتطرف والانزلاق فى تثبيت مايدعيه لنفسه .

فناقش مفهوم الإلهام ، والتحديث ، والكلام ، والرؤى ، وأثبتها بكلام طويل ممزوج بالتهكم والإقذاع مع معارضيه ، وسود الصفحات الطوال فى هذا الرأى ، وكانت نهاية مطافة ادعاءه لمقام النبوة .

وقد أقام هذا الادعاء على إمكانية النبوة بل والرسالة بعد سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — وكانت هذه القضية محور ارتكازه فى هذا المجال الخطير ، وفى تصديه للاستدلال على ماتوهم من إمكانية النبوة والرسالة لجأ إلى أساليب لاتمت إلى البحث العلمى بصلة .

فتارة : يهيم فى مجالات الرؤى والغيبوبة ، وأخرى : يؤول الألفاظ ويخرجها عن معانيها ، وثالثة : يدعى المؤيدات ويسميها معجزات . ومن كلامه فى هذا : (إن اتباع النبى — صلى الله عليه وسلم — يمنح كمالات النبوة ، وأن عنايته واهتمامه ينحت الأنبياء الجدد ويخلقهم) .

ويجعل المخاطبات والمكالمات الإلهية شرطا لصحة الديانة ونتيجة طبيعية للعمل بالأحكام الشرعية والعبادة .

(أقسم بالله ، إننى أشد الناس مقتا وتبرؤا من دين لايفتح على أتباعه — رغم عباداتهم وتضحياتهم بابا للمعرفة الإلهية ، ولا يشرفهم بالمكالمات والمخاطبات . إننى أقسم بالله إننى أشد الناس كراهة وازدراء لهذا الدين الذى لايصلح لهذا ، إننى لا أسميه الديانة الرحمانية بل أسميه «الديانة الشيطانية» وأؤمن أنه دين يهدى إلى جهنم ، ويعيش فيه الإنسان أعمى ، ويموت أعمى ، ويدفن أعمى[1]) .

إنه اشترط وأوجب للإنسان مالم يشترطه الله ورسوله ، ولم توجبه الشريعة وما أنزل الله به من سلطان ، وهكذا عسر هذا الدين الذى

---

(١) حقيقة الوحى ص ٩٦

كان يسيرا وعاما للبشر ، ومهد الطريق للدجالين والمشعوذين والمتزعمين الذين يدعون الإلهام و « المخاطبات الإلهية » ويسيطرون على عقول الناس وأموالهم ، ويجاهد الناس فى غير جهاد ، ويبذلون قوتهم ومواهبهم فيما لا ينفعهم فى الدين ولا فى الدنيا ، وينصرفون عن محكمات الشريعة وواضحات الدين إلى ملهمات ومبهمات ومتهافتات ومتناقضات تفسد عليهم الدين والدنيا . .

(إن[1] ظروف المسلمين التى بعث فيها المسيح الموعود — يعنى نفسه — كانت تشبه تماما أحوال بنى اسرائيل حينما بعث إليهم المسيح الناصرى ، فأنا ذلك الموعود ، فالذى يبايعنى صدقا ويتبعنى حقا ويخلع عن نفسه ربقة الأهواء فى سبيل طاعتى ، هو الذى ستشفعه روحى فى هذه الأيام العصيبة الحالكة . . .

(ولا تحسبن أن الوحى كان فيما مضى ، ولم يعد له وجود فى هذه الأيام ، وأن روح القدس كان ينزل فيما مضى وليس له أن ينزل الآن . الحق والحق أقول : إن كل باب يمكن أن ينسد ، لكن باب روح القدس سيظل مفتوحا إلى الأبد ، عليكم أن تفتحوا منافذ قلوبكم لكى يدخلها ذلك الروح . إنكم تحرمون أنفسكم من تلك الشمس التى تسدون دونها المنافذ ، يأيها الجاهل ! قم وافتح ذلك المنفذ تدخله الشمس بنفسها . إذا كان الله اليوم لم يحرم الناس من خيرات الأرض بل وفرها لهم فهل يستسيغ ظنكم أنه — عز وجل — حرمكم من خيرات

---

(١) براهين أحمدية ج ٥ ص ٢٨٣ ، وانظر القاديانى للأستاذ أبى الحسن الندوى .

السماء التي أنتم بأمس الحاجة إليها ؟ كلا ! إن ذلك الباب المفتوح ، فتحا مبينا حسيا. وعدكم الله فى الفاتحة من ايتاء جميع النعم ، فلماذا ترفضون هذه النعم ؟ كونوا ظمأى لتلك العين ، تتفجر لكم المياه بنفسها) .

ويلتقط هذا الخيط من بعده نجله وخليفته المرزا «بشير الدين محمود » فيقول :

(لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفدت . ما قدروا الله حق قدره ، إنكم تتنازعون فى نبي واحد ، وأنا أعتقد أنه سيكون هنالك ألف نبي ، بعد محمد — صلى الله عليه وسلم —)[1] .

وقد أحدث ذلك فوضى فى «النبوة» وفقدت كلمة «النبوة» جلالتها وحرمتها وقد استها ، وأصبحت ألعوبة وعبثا ، وكثر المتنبئون فى القاديانية ومدعو الإلهام ، وقد عد منهم الأستاذ « محمد الياس البرنى » إلى عام ١٣٥٥ سبعة ، ولا شك أنه ليس إحصاء دقيقاً ، وإنهم أكثر من هذا وإلى ازدياد مستمر .

هذا هو الحصاد :

لقد تدرج أولا بالحديث عن الإلهام ، والعلم الباطنى ، والعلم اليقينى ، كمنزلة طبيعية يصل إليها الإنسان بلزوم متابعة النبى ، والاضمحلال فيه وغفل عن أن الصحابة — رضوان الله عليهم — وقد لازموا الرسول — صلى الله عليه وسلم — لم يستشرفوا لمثل هذا أبدا ولو كان لكانوا أحق به منه .

(١) أنوار خلافت ص ٦٢

وذلك حين يزعم : (انى[1] امرؤ . يكلمنى ربى ويعلمنى من لدنه ويحسن أدبى) وأن الإلهام لم ينقطع فيقول :

(لقد[2] ألهمت آنفا وأنا أعلق هذه الحاشية وذلك فى شهر مارس عام ١٨٨٢ م مانصه حرفيا : يا أحمد ، بارك الله فيك مارميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

وليس ذلك له وحده فحسب : (بل إن أمته ـ أى سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لن يغلق فى وجهها باب المكالمة والمخاطبة الربانية إلى يوم القيامة) .

ويتدرج خطوات الى مدعاه فيقول :

(لقد[3] أرسلت كما أرسل الرجل المسيح بعد كليم الله موسى ، فلما جاء الكليم الثانى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان لابد أن يكون بعد هذا النبى ـ الذى هو فى تصرفاته مثل الكليم ولكنه أفضل منه ـ من يرث قوة مثل المسيح وطبعه وخاصيته ، ويكون نزوله فى مدة نزوله تقارب المدة التى كانت بين الكليم الأول والمسيح بن مريم ، يعنى فى القرن الرابع عشر الهجرى ، وقد نزل هذا المسيح وكان نزوله روحانيا).

ثم ينتهى إلى الخطوة الأخيرة والقاصمة ، لكن كانت هناك وقفة يوضحها نجله الأكبر «بشير الدين محمود » بقوله : (كان

---

(١) مواهب الرحمن ص ٤

(٢) براهين أحمدية ج ٣ ص ٢٣٩ — ٢٤٢

(٣) حقيقة الوحى ص ٢٧

سيدنا المسيح الموعود (يعنى أباه) يعتقد فى بداية الأمر أن كلمة النبى تطلق على رجل يأتى بشريعة جديدة .

أو ينسخ بعض الأحكام .

أو يكون نبيا بلا واسطة .

لذلك كان رغم أن جميع الشروط التى تشترط للنبى كانت موفورة فيه يأبى أن يتسمى بالنبى ، ومع أنه كان يدعى جميع الخصال التى يتصف بها الإنسان بالنبوة ، ولكنه لاعتقاده أنها شروط المحدث لاشروط النبى كان يسمى نفسه «المحدث» ، ولم يكن يشعر أنه يصف نفسه بصفات لاتوجد فى غير الأنبياء ثم ينكر النبوة ، ولكن لما فطن أن وصفه لنفسه وكيفية دعواه لاتنطبق على المحدثية إنما تنطبق على النبوة أعلن نبوته فى صراحة)[1] .

* * *

استعلانه بها وأسلوبه :

ادعى أن الله بشره ، وأن كل من يقرأ رسالته ثم لايقر بالحق يكتب له الهزيمة والخذلان ، ودعا من يطالب الحق أن يحضر إلى : (اديان) ويمكث معه سنة كاملة وسيرى الآيات السماوية والخوارق ، والذى لايراها يستحق جائزة منه مائتا روبية ثم يقول :

(فكلما ذكرت مرارا أن هذا الكلام الذى أتلوه هو كلام الله بطريق القطع واليقين كالقرآن والتوراة ، وأنا نبى ظلى وبروزى

---

(١) حقيقة النبوة ص ١٢٤

من أنبياء الله ، وتجب على كل مسلم إطاعتى فى الأمور الدينية ، ويجب على كل مسلم أن يؤمن بأنى المسيح الموعود ، وكل من بلغته دعوتى قام بحكمتى . . الخ) .

ويقول : إن وحي يشتمل على الأمر والنهى مثلا ألهمت من الله : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم . . .) وقد اشتملت هذه الآية على أمر ونهى[1] الخ .

ويضفى على نفسه آخر المراحل المزعومة ، فيقول فى إلهام مزعوم : (الذى لايتبعك ولا يدخل فى بيعتك ويبقى مخالفا لك عاص لله ولرسوله وجهنمى) .

ادعاؤه المعجزات :

ويدعى المعجزات فيقول : (له خسف القمر المنير وأن لى غسا القمران المشرقان أتنكر؟)[2] (وإن تعدوا دلائل صدق لاتحصوها)[3]

ويضع نفسه فى مصاف الرسول فادعى أنه عين محمد — صلى الله عليه وسلم — ومن أقواله : (من فرق بينى وبين المصطفى — صلى الله عليه وسلم — فما عرفنى وما رأى)[4] .

---

(١) الأربعين رقم ٤ ص ٦ والآية الكريمة من سورة (النور) رقم ٣٠

(٢) معيار الأخبار ص ٨

(٣) اعجاز أحمدى ص ٧١

(٤) الخطبة الألهامية ص ١٧١

من تأويلاته الفاسدة :

وإذ قد ارتكز على هذا المحور – إمكانية النبوة – فإنه وجد نفسه فى مواجهة نصوص صريحة تهدم دعوى إمكانية النبوة وتقطع بختم النبوة والرسالة بسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – .

وإذ قد وجد نفسه أمام هذه المواجهة فانه لجأ إلى النصوص القرآنية يؤولها ، وإلى نصوص السنة يدور حولها ، مرة بالتشكيك ومرة بحمل اللفظ على غير مايؤديه وتارة بالتأويل المرفوض .

فتحايل على تأويل النصوص الدالة على ختم النبوة ، وعلى بيان معنى الختم ، وعلى استمرار النبوة . بدلالة صيغ المضارعة (يصطفى– يجتبى) ثم ادعاؤه المعجزات – وأخيرا انتهى إلى اعتبار نفسه وأتباعه أمة مستقلة من دون الناس ، وأنهم هم المسلمون حقا وغيرهم كافرون فإنه : (من صميم ما تقتضيه الدعوى بالنبوة تكفير كل من لايؤمن بها) وذلك هو عين مافعله القاديانيون فهم يكفرون علنا فى خطبهم وكتاباتهم جميع المسلمين الذين لايؤمنون بمرزا .

فهو فى ادعائه أنه رسول من عند الله تعالى يدعى كذلك أن رسالته لا تنافى كون محمد – صلى الله عليه وسلم – خاتم النبيين ، وهو لذلك يفسر معنى خاتم النبيين لا بمعنى : « آخر » ، بل بأن كل رسول يجئ من بعده يكون بخاتمه وإقراره ويحيى شرعه ويجدده فيقول :

(هو – أى النبي – صلى الله عليه وسلم – خاتم الأنبياء ، بمعنى أنه وحده صاحب الختم لاغير ، وليس لأحد أن يحظى بنعمة الوحى

إلا بفيض خاتمه — صلى الله عليه وسلم — . . . فلا صاحب للختم الان إلا هو ، وخاتمه وحده يكتب النبوة ، التى تستلزم أن يكون صاحبها أمة محمد — صلى الله عليه وسلم —)[١] .

ويقول : (وإنه لانبى بعده إلا من ارتدى برداء المحمدية على سبيل الظلية (التبعية) ذلك لأن الخادم لايغاير مخدومه ولا الفرع ينفصل عن أصله)[٢] .

ويقول : (إن جميع النبوات قد انقطعت إلا النبوة المحمدية فلا مشرع بعده — صلى الله عليه وسلم — أما النبى غير المشرع فممكن وجوده ، وإنما ينبغى أولا أن يكون من أمته[٣] — أى سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — .

ويلاحظ تناقضه فى معنى التشريع فى النبوة ، وكيف نفاه هنا وأثبته فى مكان آخر .

ومن وجوه تأويله للحديث حمله حديث : (لانبى بعدى) على معنى : أنه لايأتى بعده نبى من غير أمته .

---

(١) حقيقة النبوة ص ١٧٤ .

(٢) حقيقة الوحى ص ٢٧ .

(٣) التعليم ص ١٥ .

الفصل الثاني

بيان الحق فى الوحى والنبوة وختمها ودفع شبه واردة

١ ـ المسألة الأولى : معنى الوحى وحقيقته لغة وشرعا ـ وهل يمكن أن يسمى ماجاء به القاديانى وحيا ؟ وماحكمه ؟ .

٢ ـ المسألة الثانية : ختم النبوة والرسالة بسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودليله ، وشبهات القاديانية فى ختم النبوة والرسالة وردها :

(ا) شبهتهم فى التعبير بصيغة المضارع للاستمرار ودفعها .

(ب) شبهتهم فى معنى خاتم النبيين ـ تحقيق معنى خاتم النبيين ، ورد شبهة القاديانية ـ دلالة ختم النبوة وآثاره فى الأمة الإسلامية ـ خطورة تأويلهم الفاسد وحكمه .

٣ ـ المسألة الثالثة : تحرير القول فى مسألة سيدنا عيسى ونزوله عند علماء المسلمين ـ شأن هذه المسالة عند القاديانى .

٤ ـ المسألة الرابعة : تحريم الجهاد ـ موالاة الأعداء ـ تحرير القول فيهما شرعا .

٥ ـ المسألة الخامسة : ادعاؤ سلطة التحليل والتحريم ـ ليس لأحد حق فى تشريع بعد الله ورسوله .

أقامت القاديانية شبها كثيرة توهمتها عقائد تدين بها ، وتكفر من سواها بها ، وقد عرضنا لكثير منها ، وفيما يلي عرض لأمهات المسائل التي ارتكزوا عليها :

المسألة الأولى :

معنى الوحي وحقيقته لغة وشرعا[١] .

الوحي : اسم مصدر بمعنى الإيحاء أو الشيء الموحى به .

والايحاء : لغة : هو الإعلام بالشيء سرا ، ولذلك كانت الكتابة والإشارة والرمز والكلام الخفى كل ذلك يسمى وحيا ، وإذا أطلق في لسان أهل الشرع انصرف إلى ذلك « التعليم سرا الصادر من الله تعالى الوارد إلى الأنبياء عليهم السلام » فهو أخص من المعنى اللغوى بخصوص مصدره وموروده . وهو نوعان :

١ ـ تعليم بواسطة ملك .

٢ ـ وتعليم مباشرة لابواسطة ملك .

وكلاهما يصح أن يكون فى اليقظة ، أو المنام ، وهى الرؤيا الصادقة .

والتعليم بلا واسطة الملك له طريقتان : إما بالإلهام ، وهو إلقاء المعنى فى النفس ، وإما بالكلام من وراء حجاب ، أى بدون رؤية كتكليم موسى ـ عليه السلام ـ .

---

(١) انظر (المختار من تيسير الوصول) ص ٩ ومابعدها للمرحوم الأستاذ محمد عبد الله دراز ، والوحى المحمدى ص ٣٥ ط ثالثة للسيد رشيد رضا .

والتعليم بواسطة الملك يقع على وجهين أيضا : لأن النبي « تارة » يشاهد الملك عند الوحى ، إما على صورته الحقيقية وهذا نادر ، وإما متمثلا فى صورة بشر فيكلمه فيعى مايقول . «وتارة » لايرى الملك عند الوحى بل يسمع عند قدومه دويا وصلصلة شديدة ، يعلم الله كنهها ومصدرها فيعتريه حالة روحية غير عادية لا يدرك الحاضرون منها إلا أماراتها الظاهرية ، كثقل بدنه ، وتفصد جبينه عرقا ، وربما سمعوا عند وجهه الكريم دويا كدوى النحل ، مدة نزول الوحى ، حتى إذا قضى الملك رسالة ربه ، وأوحى إلى النبي إما بالكلام أو بالنفث فى روعه انفصم عنه وسريت عنه تلك الشدة التى كان يجدها فيرجع إلى حاله العادية وقد وعى ماقال الملك .

والوحى الشرعى بكل أنواعه: يصاحبه علم من الموحى إليه بأن ما ألقى إليه حق معصوم من عند الله ، ليس من خطرات الأوهام ولا من نزغات الشيطان ، وهذا العلم يقينى ضرورى ، لا يخالجه شك ولا يتولدمن مقدمات ، بل هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية كالجوع والشبع والحب والبغض .

فإذا عرف أن هذه هى خاصة الوحى بالمعنى الشرعى عرف وجه اختصاصه بالأنبياء – عليهم السلام – .

ولم يشكل الفرق بينه وبين ما يشبه بعض أنواعه من الإلهام ، والرؤيا الصادقة ، اللذين يقعان لغير الأنبياء ، كما ورد أن المؤمن ينظر بنور الله ، وأن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة

ذلك أن مايقع للصالحين من الإلهامات ليس من العلوم اليقينية فى شىء ، وإنما هى سوانح مظنونة قد تلتبس فيها لمة الملك بلمة الشيطان فيحتاج الملهم إلى قرائن خارجية يعرف بها من أى النوعين هى ، وكذلك الرؤيا الصادقة التى تتفق لكثير من البشر حتى الفساق والكفار ليست لها هذه الخاصية ، وإنما يقع ظن بصدقها لمن جرت عادته بذلك .

فإن سمينا مايقع من الإلهام الصادق لغير الأنبياء وحيا فإنما هى تسمية لغوية بالمعنى الأعم ، لأن اللغة تسمى كل إعلام خفى وحيا ، سواءٌ أكان صادرا من الله أم لا ، وسواءٌ أكان لنبى أم لا ، وقد ورد القرآن بهذه الإطلاقات اللغوية فقال تعالى فى شأن زكريا : (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا)[1] أى أشار وأومأ إلى قومه ، وقال : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ)[2] أى ألهمناها ، وقال : (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)[3] أى هداها إلى طريق غذائها ومسكنها كهداية الطفل إلى الثدى ، وهذا نوع من الإلهام إلا أنه بالغريزة الأولى لا بواسطة الخطاب الذى يتجدد آنا بعد آن .

أما الفراسة فعلم كسبى استنتاجى من أمارات سابقة ، وأما الإلهام فهو علم وهبى يلقى فى النفس دفعة بدون مقدمات .

* * *

(١) سورة مريم من الآية : ١١
(٢) سورة القصص من الآية : ٧ .
(٣) النحل من الآية : ٦٨ .

هل يمكن أن يسمى ما جاء به القادياني وحيا ؟ وما حكمه ؟ :

هذه هي حقيقة الوحي ، وهذه هي أنواعه لغة وشرعا ، و (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه)[1] فتحت أي معنى من هذه المعاني يمكن أن نسلك كلام القادياني ؟ .

لقد استعرضنا كثيرا جدا من النصوص التي قالها ، ولاتخرج في مجموعها عن أنواع ثلاثة :

١ — فهي إما كلام معقول ، قاله وقال مثله وخيرا منه أُناس قبله ولم يخطر على بالهم أن يدعوا به مقام النبوة ، أو أنه وحي كلمهم الله تعالى به ، أو نزل عليهم به الروح الأمين .

٢ — وإما أقوال منقطعة عن الحكمة ، عارية عن الصدق ، أدخل في باب اللغو والهذيان ، ولا يمكن أن ترقى لمستوى الكلام العاقل بله الوحي .

٣ — وإما تخليط وتلبيس بإتيان آيات أو بعض آيات من القرآن الكريم ، ونقلها كما هي ، أوضم بعضها إلى بعض ، أو إضافة كلمات إليها وزعمه إياها وحيا يتنزل عليه .

إن كلام القادياني هذا وراءه عقلية مضطربة ، ونفس قلقة ، وتفكير سقيم ، وهو نتاج فلسفات مضنية ، بأسلوب زدىء ، ولا يمكن شرعا ولا عقلا أن يقبل ما كتبه وما ادعاه على أنه وحي يتنزل عليه ، وأنه مرسل به لتبليغه للناس ، وإشراق الوحي وكلام النبوات تبدو فيه سمات الصدق والقوة بما لايدع مجالا لمتقول أن ينكره .

---

(١) سورة الأنعام من الآية : ١٢٤ .

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

إن ماقاله وماكتبه لايسلكه أبدا فى مقام وحى ولا نبوة وإنما يسلكه فى عداد من قال الله تعالى فيهم : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (١) .

فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذبا واختلق الأقاويل وادعاها وحيا يزعم به النبوة لنفسه .

يقول أبوعبد الله القرطبى : «ومن هذا النمط من أعرض عن الفقه والسنن ، وما كان عليه السلف من السنن فيقول : وقع فى خاطرى كذا ، أو أخبرنى قلبى بكذا ، فيحكمون بما يقع فى قلوبهم ، ويغلب عليهم من خواطرهم » . . إلى أن يقول : «وهذا القول زندقة وكفر ، يقتل قائله . ولا يستتاب ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب ، فإنه يلزم منه هدم الأحكام وإثبات أنبياء بعد نبينا صلى الله عليه وسلم » (٢) .

هذا ولم يأت أحد ـ لا القاديانى ولا من على شاكلته ـ ادعى النبوة بعد سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشىء من الإصلاح الدينى الذى يحتاج إليه البشر ، بل إن كتبهم وأقوالهم طافحة بمدح أنفسهم والغلو فى إطرائها ودعاواها الباطلة، التى يراد بها إخضاع العوام لهم واستعبادهم إياهم (٣)) .

(١) سورة الأنعام من الآية : ٩٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٩ وزارة الثقافة .

(٣) الوحى المحمدى ص ٤١

وإذ قد انهار هذا الأساس بالنسبة لهم فقد انهار كل ما انبنى عليه من أباطيلهم .

المسألة الثانية :

ختم النبوة والرسالة بسيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — ودليله[1] :— في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، واجماع الأمة حجج وأدلة قاطعة على أن المصطفى — صلوات الله عليه — هو آخر النبيين والمرسلين :

١ — أما القرآن ففي قوله تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)[2] .

فعلى قراءة «خاتِم» — بكسر التاء — يكون وصفا له — عليه الصلاة والسلام — بأنه ختم الأنبياء ، أى لن ينال أحد بعده مقام النبوة ، فمن ادعاها فقد ادعى ماليس له به سلطان .

وقراءة «خاتَم» بفتح التاء ترجع إلى هذا المعنى ، فإن الخاتَم بالفتح — كالخاتِم — بالكسر — يستعمل كل منهما بمعنى الاخر ، ذكر هذا علماءُ اللغة ، وجرى عليه المفسرون المحققون .

وجاءت السنة الصحيحة مبينة لهذا المعنى :

٢ — ففي صحيح الإمام البخارى عن أبي هريرة عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وأنه لانبي بعدى) .

(١) انظر (القاديانية) للشيخ الخضر حسين ص ١٨ .

(٢) سورة الأحزاب من الآية : ٤٠

– وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : (إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة . قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) وفى رواية مسلم عن جابر – رضى الله عنه : (فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء) .

– وروى الإمام أحمد بسنده إلى أبى الطفيل : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (لا نبوة بعدى إلا المبشرات . قالوا : وما المبشرات يارسول الله ؟ قال : الرؤيا الحسنة) أوقال : (الرؤيا الصالحة) . إلى غير هذا من الأحاديث ، وآثار الصحابة الصريحة فى أن النبوة ختمت وانتهت بنبوته – عليه الصلاة والسلام – .

٣–وعلى هذا انعقد إجماع المسلمين ، وأصبح بمنزلة المعلوم من الدين بالضرورة .

قال الإمام ابن كثير عند تفسير : (خَاتَمَ النَّبِيِّين) : وقد أخبر الله تعالى فى كتابه ، ورسوله فى السنة المتواترة عنه : أنه لانبى بعده ، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده ، فهو كذاب أفاك دجال مضل وذكر بعض من ادعوا النبوة كالأسود العنسى ومسيلمة .

وقال الألوسى فى تفسيره : «وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب ، وصدعت به السنة ، وأجمعت عليه الأمة ، فيكفر مدعى خلافه ، وما كان لمسلم أن يؤول القرآن والسنة الصحيحة تأويل من لاينصح لله ورسوله ليجيب داعية هوى فى نفسه .

شبهات القاديانية فى ختم النبوة والرسالة وردها :

(١) شبهتهم فى التعبير بصيغة المضارع للاستمرار ودفعها :

ينكرون أن النبى – صلى الله عليه وسلم– خاتم النبيين ، ويوردون على هذا شبها لا تزن عند أولى العلم جناح بعوضة. استدلوا بقوله تعالى : (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ[1]) متشبثين بأن قوله : (يَصْطَفِي) فعل مضارع ، والمضارع للاستقبال .

ودفع هذه الشبهة : أن الفعل الواقع فى الماضى قد يعبر عنه بصيغة المضارع لمقتضيات بلاغية : منها أن يكون للمعنى البليغ غرابة ، فإن المضارع من جهة دلالته على الحال يتوسل به المتكلم إلى موضوع اخراج الحادث الغريب فى صورة الواقع فى الحال ، ليبلغ تعجب المخاطب من وقوعه مبلغ تعجبه من الصورة البديعة فى حال مشاهدتها وعلى هذا الوجه ورد قوله تعالى : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ[2]) قال : (فيكون) والموضع فى الظاهر للماضى – فكان – لأن وجود إنسان من غير أب حادث غريب ، فحاله يقتضى أن يعبر عنه بالمضارع لإحضاره فى ذهن المخاطب كأنه مشاهد له .

ومن دواعى التعبير عن الماضى بصيغة المضارع الاشارة إلى استمرار الفعل وتجدده فيما مضى حينا بعد حين ، فان الاستمرار التجددى

---

(١) سورة الحج الآية ٧٥ .

(٢) سورة آل عمران ٥٩

يستفاد من المضارع على ماجرى عليه استعمال البلغاء ، وصيغة الماضى لا تخرج عن هذا المعنى ، فالتعبير بصيغة المضارع فى قوله تعالى :

«اللهُ يَصْطَفِى مِنَ المَلآئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ الناس [1] » يدل على معنى زائد على أصل الاصطفاء الذى يدل عليه الماضى ويقف عنده ، وذلك المعنى هو أن اصطفاء الرسل كان يتجدد ويقع مرة بعد أُخرى ، والقرينة الشاهدة بأن (يصطفى) مراد منه الاصطفاء الواقع قبل نزول هذه الآية هى آية (وخاتم النبيين) والأحاديث المستفيضة فى اغلاق باب الرسالات والنبوة .

فاستعمال المضارع موضع الماضى فى كلام البلغاء خارج عن حد الاحصاء ، وآيات الكتاب يفسر بعضها بعضا ، كما أن السنة تبين الكتاب .

(ب) شبهة القاديانية فى معنى خاتم النبيين :

من تأويلهم لمعنى « خاتم » أنه أفضل أو زينة فقد رأى — أى غلام أحمد ، وكثير من أتباعه ، : أن قوله تعالى فى وصف الرسول الأعظم — صلى الله عليه وسلم — : (وخَاتَمَ النَّبِيين) يسد الطريق عليهم فى ادعاء النبوة ، فحاولوا تأويل الآية على معنى أنه أفضل النبيين ، أو سيد النبيين ، وابتغوا هذا التأويل ليتهيأ لهم أن يقولوا على الله ما شاءت أهواؤهم .

فأنكروا أن النبى — صلى الله عليه وسلم — آخر النبيين ، وذهبوا إلى أن (خاتم النبيين) فى الآية بمعنى أفضل النبيين ، أو زينتهم .

(١) سورة الحج ٧٥ .

واستدلوا على أن لفظ « خاتم » يستعمل بمعنى أفضل أو زينة بحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال للعباس – رضى الله عنه – : (أنت خاتم المهاجرين فى الهجرة ، وأنا خاتم النبيين فى النبوة) .

وهذا الاستدلال مدفوع بأن الذى ورد فى كتاب « أسد الغابة » أن العباس استأذن النبى – صلى الله عليه وسلم – فى الهجرة فقال له : (ياعم ، أقم مكانك الذى أنت به ، فإن الله تعالى يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة) .

ومن تأويلهم ما ورد فى « ملفوظات أحمدية » : (قال المسيح الموعود – عليه السلام – فى خاتم النبيين : إن المراد به أنه لايمكن أن تصدق الآن نبوة أى نبى من الأنبياء إلا بخاتمه – صلى الله عليه وسلم – ، وكما أن كل قرطاس لايكون مصدقا مستندا إلا حين يطبع عليه بالخاتم ، فكذلك كل نبوة لا تكون مطبوعا عليها بخاتمه وتصديقه – صلى الله عليه وسلم – تكون غير صحيحة[1]) .

٢ – تحقيق معنى خاتم النبيين ورد شبهة القاديانية :

من الأدلة على ختم النبوات والرسالات بسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – قول الله تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) .

---

(١) ملفوظات أحمدية بترتيب محمد منظور الهى القاديانى ص ٢٩٠ ، نقلا عن المسألة القاديانية » .

معنى (خاتَم) فى اللغة :

(خاتم) – بفتح التاء وكسرها – : بمعنى الآخر ، وهو المعنى الذى يذكره علماء اللغة والتفسير لهذه الكلمة :

فنى لسان العرب : وختام القوم وخاتمهم : آخرهم ، والخاتم من أسماء النبي – صلى الله عليه وسلم – وفى التنزيل : (وخَاتَمَ النَّبِيِّين).

ويقول ابن سيده فى كتاب المحكم : وختام القوم وخاتِمهم وخَاتَمهم – بالفتح والكسر – آخرهم ، ويقول الأزهرى فى كتاب « التهذيب » : وخاتم كل شيء آخره .

ولم يذكر أحد من هؤلاء الأئمة أو غيرهم كصاحب الصحاح ، وصاحب المصباح ، وصاحب القاموس ، وصاحب أساس البلاغة : أن الخاتم يكون بمعنى الزينة .

والتفاسير لا تذكر فى بيان (خاتم النبيين) معنى غير معنى الآخر ، ووردت الأحاديث مؤيدة لهذا المعنى ، وهى لا تقصر عن درجة المتواتر .

ومن الأحاديث الصريحة فى هذا المعنى ما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى) فشق ذلك على الناس ، فقال : (ولكن المبشرات) قالوا يارسول الله : وما المبشرات ؟ قال : (رؤيا المسلم وهى جزء من أجزاء النبوة)[1] .

---

(١) رواه الترمذى .

ومنها حديث عبدالله بن عمر وهو : خرج علينا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوما كالمودع ، فقال : (أنا محمد النبى الأمى — ثلاثا — ولا نبى بعدى) [(١)] .

ومنها حديث أبى هريرة : (وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبوة) [(٢)] .

إلى غير هذا من الأحاديث الصريحة الصحيحة المختلفة الأسانيد .

وبعد هذه الأحاديث إجماع الأمة على أن من ادعى النبوة بعد رسول الله فهو من الضالين المضلين .

وقال الإمام ابن عطية فى تفسير آية : (وخاتم النبيين) هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقاة على العموم التام ، مقتضية نصا : أن لا نبى بعده — صلى الله عليه وسلم — .

وخلاصة ما تقدم فى معنى (خاتم) :

أن علماء اللغة يقولون : « الخاتم » بمعنى الآخر ، والمفسرون يقولون : (وخاتم النبيين) أى آخرهم ، وداعية القاديانية يزعم أن (خاتم النبيين) بمعنى زينتهم ، أو سيدهم ، أو أفضلهم .

ولم يأت بشاهد على هذا من كلام العرب ، أو من كتب اللغة ، أو من أقوال أئمة التفسير ، ذهب يعارض أئمة اللغة والتفسير بلغو

---

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه مسلم .

من القول ، كأنه لا يشعر أن القرآن الكريم قول فصل ، وما هو بالهزل

دلالة ختم النبوة وآثاره فى الأمة الاسلامية :

لقد شهد التاريخ الإسلامى محنا عظيمة ومؤامرات خطيرة ، ولكنه لم يشهد مثل هذه المحنه ومثل هذه المؤامرة ، لقد كانت المحن القديمة ثورة على الحكم الإسلامى ، أو ثورة على الشريعة الإسلامية ، ولكن القاديانية كانت ثورة على النبوة المحمدية وعلى خلود الرسالة الإسلامية وعلى وحدة هذه الأمة ، إنها تخطت الخط الأخير الذى يفصل هذه الأمة عن أمم أخرى ، والذى يعتبر كخط التحديد بين مملكتين .

ذلك أن عقيدة أن الدين قد أكمل وأن محمدا — صلى الله عليه وسلم — هو آخر الأنبياء وخاتم النبيين ، وأن رسالته هى الرسالة الأخيرة موهبة خص الله بها هذه الأمة .

ولو كان للبشر حاجة بعد القرآن ، ومحمد — صلى الله عليه وسلم — إلى آيات أو نبوات كما يدعى المفتونون ، ومخترعوا الأديان والنحل الجديدة لما كان لخاتم النبوة معنى ، ولسامها المرتزقة والرعاع وكل مخبول .

ولقد بقيت عقيدة ختم النبوة تحرس هذا الدين من غائلة هؤلاء المبتدعين ، وفتنة المتنبئين والمتزعمين ، وتحرس هذه الأمة من الفوضى الفكرية والدينية التى كانت الأمم السابقة والديانات

(١) انظر محمد إقبال .

السالفة فريستها ، واستطاع هذا الدين واستطاعت هذه الأمة — بفضل هذه العقيدة — أن تقاوم المؤامرات الدقيقة ، وتحتمل الصدمات العنيفة ، وبقيت وحدتها فى الدين والعقيدة لم تواجه ثورة داخلية أو اضطرابات فكرية إلى ما كان من الباطنية فى العهد القديم ، ولا تنقسم هذه الأمة إلى أمم ، لكل وجهتها ولكل مركزها الروحى ، ومصدرها العلمى ، والثقافى ، ولكل تاريخ منفرد وماض مختلف .

ولقد كانت عقيدة ختم النبوة تمجيدا للنوع الانسانى كذلك ، وإعلانا بأن النوع البشرى قد بلغ سن الرشد والنبوغ وجاءت الرسالة الأخيرة ، وأصبح المجتمع البشرى فى غنى عن وحى جديد ورسالة سماوية جديدة ، فبعث ذلك فى الانسان الثقة ببلوغه ، وكان ذلك حافزا للانسان على التقدم فى المدنية والاعتماد على العلم والتجربة فى الحياة اليومية .

خطورة تأويلهم الفاسد وحكمه :

يستنكر الإمام ابن حزم مثل هذا التأويل فيقول :

« كيف يستجيز مسلم أن يثبت بعده — عليه السلام — نبيا فى الأرض ، حاشا ما استثناه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى الآثار المسندة الثابتة نزول عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان »[1] .

وقال أبو حيان فى تفسيره البحر : ومن ذهب إلى أن النبوة مكتسبة لاتنقطع ، أو إلى أن الولى أفضل من النبى فهو زنديق .

(١) ليس بين الأحاديث الواردة فى نزول عيسى عليه السلام — والأحاديث الصريحة فى انقطاع النبوة معارضة ، فهى لنفى وقوع النبوة بعد البعثة المحمدية ولا تتناول عيسى عليه السلام لأن النبوة ثابتة له من قبل .

ويقول الدكتور محمد إقبال فى رسالته الموجهة إلى رجل الدولة :

« إن عقيدة أن محمداً — صلى الله عليه وسلم — خاتم النبيين هى الخط الفاصل بكل دقة بين الدين الإسلامى والديانات الأُخرى ، التى تشارك المسلمين فى عقيدة التوحيد ، والموافقة على نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — ولكنها تقول باستمرار الوحى وبقاء النبوة — كبرهمو سماج — فى الهند ، وبهذا الخط الفاصل يستطيع الانسان أن يحكم على طائفة بالاتصال بالاسلام أو الانفصال عنه ، ولا أعرف فى التاريخ طائفة مسلمة اجترأت على تخطى هذا الخيط . إن البهائية فى إيران أنكرت عقيدة ختم النبوة ، ولكنها أعلنت بصراحة : أنها طائفة مستقلة ليست مسلمة بمعنى الكلمة المصطلح عليها .

« إننا نعتقد أن الإسلام دين أوحى الله به ، ولكن وجود الإسلام كمجتمع أو أمة يتوقف على شخصية محمد — صلى الله عليه وسلم — وليس للقاديانية إلا أن يختاروا أحد الأمرين :

إما أن يتبعوا البهائية فى انفصالها عن المسلمين ، وإما أن يتخلوا عن تفسيراتهم المتطرفة لفكرة ختم النبوة فى الإسلام .

إن تأويلاتهم السياسية لا تنم إلا عن حرصهم على البقاء فى محيط المسلمين ، ليستغلوا هذا الاسم وينتفعوا بفوائد سياسية لا تحصل إلا باسم المسلمين » .

وقال فى محل آخر : « إن كل مجتمع ينفصل عن الإسلام وله طابع دينى يقوم على أساس نبوة جديدة ، ويعلن بكفر جميع

المسلمين الذين لا يصدقون بهذه النبوة المزعومة ، يجب أن ينظر إليه المسلمون كخطر جدى على سلامة الإسلام ، إن نهوض المجتمع الإسلامى لا يقوم إلا على عقيدة ختم النبوة » .

* * *

المسألة الثالثة :

تحرير القول فى مسألة سيدنا عيسى ونزوله عند علماء المسلمين :

يلخص المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت أقوال العلماء فى هذه المسألة فيقول[١] :

« إن نزول عيسى — عليه السلام — قد استقر فيه الخلاف قديما وحديثا :

أما قديما فقد نص على ذلك ابن حزم فى كتابه « مراتب الاجماع » حيث يقول : « واتفقوا على أنه لا نبى مع محمد — صلى الله عليه وسلم — ولا بعده أبدا ، إلا أنهم اختلفوا فى عيسى — عليه السلام — أيأتى قبل يوم القيامة أم لا ؟[٢] . وهو عيسى بن مريم المبعوث إلى بنى إسرائيل قبل مبعث محمد — صلى الله عليه وسلم — .

كما نص عليه أيضا « القاضى عياض » فى شرح مسلم ، « والسعد » فى شرح المقاصد ، وعباراته واضحة جلية فى أن المسألة ظنية فى ورودها ودلالتها .

---

(١) انظر (الفتاوى) ص ٨٠ ط . دار القلم .

(٢) صرح ابن حزم بتواتر النزول فى كتابه (الفصل فى الملل والنحل) .

وأما حديثا، فقد قرر ذلك كل من الأساتذة — المغفور لهم — « الشيخ محمد عبده » والسيد « رشيد رضا » ، والأستاذ الأكبر الشيخ « المراغى » .

فالشيخ محمد عبده — رضى الله عنه — يذكر وهو بصدد تفسير آية آل عمران : (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) : إن العلماء هنا طريقتين :

إحداهما : وهى المشهورة أنه رفع بجسمه حيا ، وأنه سينزل فى آخر الزمان ، فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى .

والطريقة الثانية : أن الآية على ظاهرها ، وأن المتوفى على معناه الظاهر المتبادر منه وهو الإماتة العادية ، وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح . . . إلخ .

ثم يذكر : « أن لأهل هذه الطريقة فى أحاديث الرفع والنزول تخريجين : أحدهما : أنها آحاد تتعلق بأمر اعتقادى ، والأمور الاعتقادية لايؤخذ فيها إلا بالقطعى ، وليس فى الباب حديث متواتر ، وثانيهما : تأويل النزول « بنحو ما سبق نقله عن شرح المقاصد »[1] .

وقد ورد على المغفور له السيد رضا سؤال من « تونس » وفيه : (ما حالة سيدنا عيسى الآن ؟ وأين جسمه من روحه ؟ وما قولكم فى الآية : « إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ » ؟ . وإن كان حيا يرزق كما

---

(١) الجزء الثالث من تفسير المنار .

كان فى الدنيا فمم يأتيه الغذاء الذى يحتاج إليه كل جسم حيوانى كما هى سنة الله فى خلقه ؟) .

فأجابه السيد رشيد إجابة مفصلة عما سئل عنه نقتطف منها ما يأتى : قال — بعد أن عرض للآيات وآراء المفسرين فيها :

« وجملة القول : أنه ليس فى القرآن نص صريح فى أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حيا حياة دنيوية بهما ، بحيث يحتاج بحسب سنن الله تعالى إلى غذاء ، فيتوجه سؤال السائل عن غذائه ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ، وإنما هى عقيدة أكثر النصارى ، وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها فى المسلمين .

ثم تكلم عن الأحاديث وقال : « إن هذه المسألة من المسائل الخلافية حتى بين المنقول عنهم رفع المسيح بروحه وجسده إلى السماء[1] » .

أما المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ « المراغى » فقد كتب بمناسبة السؤال — الذى رفع إليه وكان سببا فى فتوانا — إجابة جاء فيها : « ليس فى القرآن الكريم نص صريح قاطع على أن عيسى — عليه السلام — رفع بجسمه وروحه ، وعلى أنه حى الآن بجسمه وروحه ، وقول الله سبحانه : « إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا » الظاهر منه أنه توفاه

(١) الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين للمنار .

وأماته ثم رفعه ، والظاهر من الرفع بعد الوفاة أنه رفع درجات عند الله كما قال فى « إدريس » — عليه السلام — : « وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيًّا » وهذا الظاهر ذهب إليه بعض علماء المسلمين ، فهو عند هؤلاء توفاه الله وفاة عادية ثم رفع درجاته عنده ، فهو حى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء .

لكن جمهور العلماء على أنه رفعه بجسمه وروحه ، فهو حى الآن بجسمه وروحه ، وفسروا الآية بهذا بناء على أحاديث وردت كان لها عندهم المقام الذى يسوغ تفسير القرآن بها ، ثم قال :

« ولكن هذه الأحاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التى توجب على المسلم عقيدة ، والعقيدة لا تجب إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر » ثم قال : « وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى — عليه السلام — حى بجسمه وبروحه ، والذى يخالف فى ذلك لا يعد كافرا فى نظر الشريعة الإسلامية » .

هذه نصوص صحيحة يقرر بها هؤلاء العلماء قديما وحديثا : أن مسألة عيسى مسألة خلافية ، وأن الآيات المتصلة بها ظاهرة فى موته — عليه السلام — موتا عاديا ، وأن الأحاديث الواردة فيها أحاديث آحاد لا تثبت عقيدة ، وهى مع هذا تحتمل التأويل ، وأنه لايكفر المسلم بإنكار رفع المسيح أو نزوله .

تلبيس القادياني فى هذه المسألة :

هذا هو تحرير القول فى هذه المسألة عند علماء المسلمين ، فما هو شأنها عند الغلام القادياني ؟

إنه بعد أن تناقض فيها ، مرة بالاثبات ، ومرة بالنفى ، انتهى إلى رفضها لا احتراما للدليل ، ولكن ليخلى الطريق لنفسه بإسدال ستار على موضوع يتعلق برسول من أولى العزم ، وتنحية الحديث ليقدم نفسه مسيحا جديدا للأمة الإسلامية ، شأن مسيح الأمة اليهودية على حد تعبيره ، وأخذ يتقمص الأردية التى يزعم بها لنفسه هذا المقام بل ويتفوق عليه : (فيقول[1] : إن المسلمين والنصارى يعتقدون باختلاف يسير : أن المسيح ابن مريم قد رفع إلى السماء بجسده العنصرى ، وأنه سينزل من السماء فى عصر من العصور ، وقد أثبت فى كتابى — يعنى فتح إسلام — أنها عقيدة خاطئة ، وقد شرحت أنه ليس المراد من النزول هو نزول المسيح ، بل هو اعلام على طريق الاستعارة بقدوم مثيل المسيح ، وأن هذا العاجز — يعنى نفسه بكل تواضع — هو مصداق هذا الخبر حسب الاعلام والإلهام) .

لكن كيف تكون هذه المماثلة التى ادعاها ؟

يزعم أنه رسول ، ويزعم أنه هو المراد من الحديث الوارد فى نزول ابن مريم — عليه السلام — حكما عدلا ، ثم يقفز قفزة أخرى بتأويل النصوص وتحريفها ، وأنها نزلت لتخبر بظهوره هو وتنوه بشأنه ، ويركب مثل هذا المركب السفيه ، بقوله فى تفسير الآية الكريمة : (وَمَرْيَمَ ابنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فيهِ من رُوحِنَا[2]) :

---

(١) توضيح مرام .

(٢) سورة التحريم ١٢ .

« هذه بشارة بأن سيكون فى هذه الأمة الإسلامية رجل فى درجة مريم الصديقة ، ثم ينفخ فيه روح عيسى . فإذا مريم يخرج منه عيسى . ، أى أن الرجل ينتقل من صفاته المريمية إلى صفاته العيسوية ، فكأنما كينونته المريمية أنتجت العيسوية ، وبهذا المعنى يسمى ذلك الرجل ابن مريم .

هكذا وبعد ثلاثة عشر قرنا من الزمان أضنى العلماء فيها أنفسهم بالبحث والدرس يأتى هذا القاديانى ليسخر من عقول الأمة وعلمائها ، بهذا الفهم والتخريج .

ثم ما هو محصل ذلك ؟ . أكسر الصليب أم قتل الخنزير ؟

كلا إنه لم يكسر ولم يقتل إلا معنى الجهاد فى نفسه ونفوس أتباعه ، ليقيم سلاما ذليلا لحساب المستعمر .

المسألة الرابعة : مسألة الجهاد وموالاة الأعداء .

تحريم الجهاد :

فى وقت تكالبت فيه قوى الصليبية والاستعمار على العالم الإسلامى ينبعث ذلك الصوت الميت القاتل لقوى الأمة بإبطال الجهاد ، بدلا من بعث الأمة وقض جانب المعتدين به ، بدلا من هذا نجد المرزا يفتى بكل صراحة وقوة بحرمة الجهاد ، وكتاباته تلح بهذا المعنى فيقول : « لقد[1] ألغى الجهاد فى عصر المسيح الموعود إلغاءا باتا » . (لقد[2] آن أن تفتح أبواب السماء ، وقد عطل الجهاد

---

(١) من كتابه الأربعين .   (٢) الخطبة الالهامية .

فى الأرض وتوقفت الحروب ، كما جاء فى الأحاديث : إن الجهاد للدين يحرم فى عهد المسيح ، فيحرم الجهاد من هذا اليوم ، وكل من يرفع السيف للدين ويقتل الكفار باسم الغزو والجهاد يكون عاصيا للسنة ولرسوله) .

(إن[١] الفرقة الإسلامية التى قلدنى الله ، إمامتها وسيادتها تمتاز بأنها لا ترى الجهاد بالسيف ، ولا تنتظره بل إن الفرقة المباركة لا تستحقه سرا كان أو علانية وتحرمه تحريما باتا) .

موالاة الأعداء :

ومن هذا الفهم المخرب أمدت هذه الحركة وهذه الفئة الحكومة الانجليزية بخير جواسيس لمصالحها ، وأصدقاء أوفياء متطوعين متحمسين كانوا موضع ثقة الحكومة الانجليزية ، ومن خيار رجالها ، خدموا الحكومة الانجليزية فى الهند وفى خارج الهند ، وبذلوا نفوسهم ودماءهم فى سبيلها بسخاء ، كعبد اللطيف القاديانى الذى كان فى أفغانستان يدعو إلى القاديانية ، وينكر الجهاد .

وخافت حكومة « أفغانستان » أن تقضى دعوته على عاطفة الجهاد وروح الحرية التى يمتاز بها الشعب الأفغانى فقتلته .

كذلك الملا عبد الحليم ، والملا نور على القاديانيان ، عثرت الحكومة الأفغانية عندهما على رسائل ووثائق تدل على أنهما وكيلان للحكومة الانجليزية ، وأنهما يدبران مؤامرة ضد الحكومة الأفغانية ، وكان

---

(١) ترياق القلوب ص ٢٣٢ .

جزاؤهما القتل ، كما صرح بذلك وزير داخلية أفغانستان سنة ١٩٢٥ م[١] . ويبرر ما كان منه من حدة في مناقشة المبشرين ، ويظهر حقيقة ولائه لأعداء دينه وأمته فيقول :

« كل ما قد وقع مني بازاء المبشرين المسيحيين لم يدفعني إليه إلا رغبتي في أخذ المسلمين بالحكمة والسياسة ، وأن أدخل السرور على نفوسهم ، وأميت ثورة نفوسهم المتوحشة ، وإني لأقول وأدعي أنني أكثر المسلمين إخلاصا ونصحاً للحكومة البريطانية ، لأن هناك ثلاثة أمور قد جعلتني أرتفع في إخلاصي لتلك الحكومة إلى الدرجة الأولى ، وأول تلك الأمور : نفوذ المغفور له والدي ، وثانيهما : أيادي هذه الحكومة العالية ، وثالثها : الإلهام من الله تعالى[٢] »

تحرير القرآن في الجهاد وفي موالاة الأعداء :

هذا الجهاد الذي تبطله القاديانية هو من أفضل الأعمال في الإسلام وصنو الإيمان . يروى « أبوذر » رضي الله عنه — قال : (قلت يارسول الله ، أي العمل أفضل ؟ قال الإيمان بالله والجهاد في سبيله[٣]) . هذا الجهاد ماض إلى يوم القيامة لا يبطله شيء ، وليس من حق

(١) نقل ذلك (الفضل) صحيفة القاديانيين الرسمية بسرور واعجاب في مارس سنة ١٩٢٥ م أنظر (القادياني) للأستاذ أبي الحسن الندوي ص ٩٥ .

(٢) (ترياق القلوب) ص ٣٠٩ ، ٣١٠ المطبوع بمطبعة ضياء الإسلام بقاديان في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٢ الملحق ٣ بعنوان (التماس متواضع إلى جناب الحكومة العالية) نقلا من المسألة القاديانية للمودودي .

(٣) متفق عليه .

مخلوق مهما كان بعد ختم النبوة أن يفترى على الله ورسوله بتحليل أو تحريم .

وكل مسلم يؤمن عقيدة أنه إذا هجم العدو على الأرض الإسلامية فإن الجهاد المستمر فرض على المسلمين حتى يخرج العدو المغير من بلد الإسلام ، لا تبرأ ذمتهم من عهد الله عليهم بأقل من ذلك .
وفرض الجهاد يشملهم جميعاً بالنفس والمال على حسب اختلاف الأحوال والأشخاص ، فالقادر على الجهاد ببدنه يلزمه الجهاد ببدنه ، ولا يترخص فيه ببذل ماله ، والعاجز بَدَنِيًّا وله مال أو رأى أو خبرة فعليه أن يجعل ذلك فى المعركة ، ومن أوتى سعة فى المال والجسم ففرضه الجهاد بالنفس والمال جميعاً يدل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ انفرُوا خِفَافا وثقَالاً وَجَاهدُوا بِأَمْوَالكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فى سَبيل الله ذَلكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ[1] ﴾ فالجهاد تعبئة عامة لكل فرد ولكل الطاقات ، لطرد العدو والمغير من أرض الوطن ولا يقدر ببذل المال أو الطاقة بمقدار محدد ، بل هو منوطٌ بقهر العدو ولو استنفذ ذلك كل أموال المسلمين ، وأتى على رقابهم لآخر رجل منهم وآخر امرأة وصبى .

اما موالاة الأعداء :

فقد تضافرت نصوص الشريعة وإجماع الأمة على تحريمها بقول الله تعالى :

---

(١) التوبة ٤١

(يَاأَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاتَتَّخذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلياءَ تُلْقُونَ إلَيْهِمْ بالْمَوَدة وَقَدْ كَفَرُوا بمَا جاءَكُمْ مّن الْحَق يُخْرجُونَ الرسُول وَإِياكُمْ أَنْ تؤْمنُوا بالله رَبّكُمْ إنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جهاداً فى سَبيلِى وابْتغاءَ مَرْضَاتى تُسِرُّونَ إلَيْهِمْ بالْمَوَدةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ منْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السبيلِ . إنْ يَثْقَفُوكُمْ يكُونوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيبْسُطُوا إلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفرُونَ)[١] .

المسألة الخامسة :

سلطات التحليل والتحريم :

قالت القاديانية بنبوة جديدة ، وهذه النبوة فى زعمهم نبوة تشريعية ، ومقتضى ذلك أنها تحل وتحرم ، ثم هى تعد جميع الذين آمنوا بها أمة خاصة ، وتكفر جميع من لم يؤمن بها ، ولذلك فإنها تكفر المسلمين .

وقد صرح غلام أحمد وخلفاؤه بأن المسلمين الذين لا يؤمنون بهذا الدين الجديد كفار ، لا تجوز الصلاة خلفهم وتحرم منا كحتهم ويعاملون معاملة الكفار .

يقول خليفتهم الحالى مرزا بشير بن غلام أحمد[٢] : (إن كل مسلم لم يدخل فى بيعة المسيح الموعود ، سواءٌ سمع باسمه أو لم يسمع كافر وخارج عن دائرة الإسلام) .

---

(١) سورة الممتحنة ١ ، ٢

(١) فى كتابه (آيينه صداقت) ص ٣٥ ، نقلا عن القاديانية للأستاذ أبى الحسن ص ١٣ .

وأول مظهر لذلك أن كل أسرة تنجح فيها دعوتهم لا تلبث أن تقع فيها على الفور مشكلة اجتماعية شديدة ، أو سرعان ما يفترق المرء عن زوجته وينفصل الأب عن ابنه ويفترق الأخوان عقيدة لا تجمعهم سراء ولا ضراء .

وقد أكد المسيح الموعود النهى عن صلاة الأحمديين خلف رجل من غير الأحمديين [١] .

ويتساءل إذا مات ولد لرجل من غير الأحمديين فلماذا ينبغى علينا ألا نصلى عليه فى حين أنه ليس بكافر بالمسيح الموعود ؟ وأنا بدورى أسأل من يلقى على هذا السؤال : إن كان ذلك جائزاً فلماذا لا نصلى على أولاد الهنادك والنصارى عند موتهم ؟ إن ابن هذا الرجل من غير الأحمديين ليس إلا واحدا منهم ولذلك لا تجوز الصلاة عليه أيضاً) [٢] .

وقد مات الزعيم « محمد على جناح » ولم يصل عليه « ظفر الله خان » — وكان ضمن رجال وزراء جناح حينها — بحكم هذه العقيدة ، وقد أبدى المسيح الموعود سخطه العظيم على أحمدى يريد أن يزوج ابنته رجلا من غير الأحمديين ، وقد سأله رجل عن ذلك مرة بعد مرة ، وعرض عليه ضروبا من الأعذار وهو يقول له : « امسك عليك بنتك ولا تزوجها رجلا من غير الأحمديين » ثم إن هذا الرجل زوج ابنته بعد وفاة المسيح الموعود رجلا من غير الأحمديين فعزله

---

(١) أنوار خلافت ص ٨٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٠ .

الخليفة الأول عن إمامة الأحمديين ، ولم يقبل له توبة فى ست سنين من سنى خلافته ، مع أنه لم يزل يتوب من فعلته مرة بعد مرة[(١)] .

ولم يبح[(٢)] المسيح الموعود معاملة غير الأحمديين إلا بما عامل به النبى الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – النصارى وقد فرق بيننا وبين غير الأحمديين فى الصلاة ، وحرم علينا أن نزوجهم بناتنا ، ونهينا عن الصلاة على موتاهم ، فأى شىء قد بقى الآن نشاركهم فيه ؟

إن العلاقة بين الناس علاقتان : علاقة دينية وعلاقة دنيوية فأكبر وسيلة من وسائل العلاقة الدينية هى الاشتراك فى العبادة ، وأهم وسيلة من وسائل العلاقة الدنيوية هى التزاوج ، وقد حرمت علينا كلتا هاتين الوسيلتين .

فإن قلتم : إنه هل يجوز الزواج من بناتهم ؟ قلت : نعم ، ويجوز أيضا أن نتزوج من بنات النصارى . فإن قلتم : لماذا يجوز السلام على غير الأحمديين ؟ قلت : قد ثبت من الحديث أنه قد رد النبى – صلى الله عليه وسلم – حتى على اليهود سلامهم أحيانا .

* * *

ومما ابتدعوه أنهم – بعد المرزا – بدأوا يؤرخون بالشهور الجديدة التى تتصل بحوادث حياته ، مقابلين بها الشهور الإفرنجية على النحو التالى :

الصلح – التبليغ – الأمان – الشهادة – الهجرة – الإحسان – الوفاء – الظهور – تبوك – الإخاء – النبوءة – الفتح .

---

(١) المصدر السابق ٩٣ – ٩٤ .
(٢) كلمة الفصل ص ٦٩ .

ليس لأحد حق التشريع بعد الله ورسوله :

هذه الأمور التى عرضناها ، وتصف ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام — تجعلنا نتساءل : بأى سلطان خولوا أنفسهم هذا الحق ؟ والله تبارك وتعالى ينعى على أمم سابقة هذا الأمر فيقول : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ)[١] .

قال أهل المعانى : جعلوا أحبارهم ورهبانهم كالأرباب حيث أطاعوهم فى كل شىء .

يقول عبدالله بن المبارك :

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

روى الأعمش وسفيان عن حبيب بن أبى البحترى قال : سئل حذيفة عن قول الله عز وجل : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ) هل عبدوهم ؟ فقال : لا ، ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه .

وروى الترمذى[٢] عن عدى بن حاتم قال : « أتيت النبى — صلى الله عليه وسلم — وفى عنقى صليب من ذهب ، فقال : (ما هذا يا عدى ؟ اطرح عنك هذا الوثن) وسمعته يقرأ فى سورة « براءة » : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ)

(١) سورة التوبة الآية ٣١ .

(٢) قال الترمذى هذا حديث غريب .

ثم قال : « أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه »[(١)] .

وبعد فهذه مسائل خمس من أمهات المسائل التى خالفوا فيها صريح الكتاب والسنة ، وخرجوا بها على إجماع الأمة ، ومع كل مسألة دليلها وحكمها .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١٢٠ القرطبي .

الباب الرابع

القاديانية ونشاطها بعد صاحبها

---

* الفصل الأول : القاديانية بعد غلام أحمد .
* الفصل الثانى : نشاط القاديانية ومظاهره .

الفصل الأول
القاديانية بعد غلام أحمد

الخليفة الأول :

فى السادس والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٠٨ م توفى داعى القاديانية ومنشئها « مرزا غلام أحمد » وخلفه « الحكيم نور الدين » .

الحكيم نور الدين :

عرفنا ما كان لهذه الشخصية من موقف سَوَّلَ به للمرزا ودفعه إلى القفز من مقام المصلح والمجدد إلى مقام المماثلة للمسيح — عليه السلام — ثم ما كان من أمر تدرجه فى الدعاوى ما عرضنا له ، وهذه الشخصية بقيامها بهذا الدور أدت دورا خطيرا فى تطور دعوى القاديانى حتى اعتقد بعض الباحثين أنه صاحب الفكرة والتصميم فى هذه الحركة ، وإذا كان المرزا تقدم بها إلى أُمته ، فالحكيم نور الدين هو الشخصية التالية للمرزا فى هذه الدعوى فكرا وزمنا ، حتى إن القاديانية ظلت محتفظة بوحدتها مذهبيا أيام الحكيم نور الدين كما كانت أيام المرزا وإن كان قد دب إلى صفوفها شىء من الاختلاف فإنها لم تنقسم إلى شعبتيها إلا بعد وفاة الحكيم هذا .

فمن هو الحكيم نور الدين ؟

فى الآونة والظروف والبيئة والموطن الذى ولد فيه « المرزا غلام أحمد » ولد الحكيم نور الدين بعده بسنتين ١٨٤١ ، ١٢٥٨ هـ فى نفس إقليم البنجاب فى بلدة (بهيرة) من مديرية (شاه بور)[1] .

نشأته :

ولد فى أسرة يشغل ربها إماما لمسجد فى بلدته واسمه « الحافظ غلام رسول » وينتهى نسبه — كما روى — إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، وأخذ قسطا من تعلم العربية ، وتعلم الفارسية ومبادىء العلوم الأخرى : الحساب والجغرافيا ، وقرأ بعض كتب النحو والمنطق والتوحيد .

وقد عمل فى حقل التدريس أستاذا للفارسية ومديراً لإحدى المدارس الابتدائية ، ثم انقطع للدراسة ولزم بعض الشيوخ ، ومنهم أعلام يتلقى عنهم ويرحل إليهم ومعهم .

كان منهم : الشيخ أحمد دين ، والشيخ حسن شاة ، والحكيم على حسين الذى درس له الطب العربى القديم ، والمفتى عبد القيوم البرهانوى الذى درس له الحديث والفقه .

وتنقل بين مراكز العلم آنذاك من « لاهور » إلى « رامبور » إلى « لكهنو » .

---

(١) تسمى هذه المديرية الآن (سركودها) وهى فى غربى باكستان .

ورحل للحج عام ١٢٨٥هـ وأقام فى الحجاز وقرأ على بعض الشيوخ هناك منهم : الشيخ محمد الخزرجى والشيخ رحمة الله الهندى صاحب « إظهار الحق » .

ثم رجع إلى وطنه وعين طبيبا خاصا فى ولاية (جمون) منطقة كشمير الجنوبية ، وتمتع بنفوذ كبير لبراعته فى الطب وفصاحته وعلمه وذكائه حتى وقعت بينه وبين أمير جمون وحشة عزل على أثرها عن الوظيفة عام ١٨٩٢م [١] .

معرفته بالمرزا وخلافته له :

وقد برزت كثير من مواهبه فى فترة إقامته فى (جمون) وخدم أمراءها وفى تلك الفترة تعرف بالمرزا القاديانى الذى كان مقيما وقتها فى (سيالكوت) وثوثقت بينهما الصداقة والتقت أفكارهما حتى إنه لما ألف المرزا كتابه (براهين أحمدية) ألف الحكيم كتابه (تصديق براهين أحمدية) وبايعه وخضع له حتى قال لما أخبر بأن المرزا ادعى النبوة : لو ادعى هذا الرجل أنه نبى صاحب شريعة ونسخ شريعة القرآن لما أنكرت عليه ، وألف – باقتراح المرزا – كتابه (فصل الخطاب) فى الرد على المسيحية [٢] .

وانتقل إلى (قاديان) بعد اعتزاله عن الوظيفة عام ١٨٩٢ وأقام بها .

---

(١) مرقاة اليقين فى حياة نور الدين نقلا عن القاديانى للأستاذ أبى الحسن ص ٢٧

(٢) سيرة المهدى ص ٩٩ .

وبويع له بالخلافة عام وفاة المرزا ١٩٠٨ م ولقب بالخليفة الأول ، وخليفة المسيح الموعود « نور الدين الأعظم » . وثار حول خلافته نقاش ولكنه لم يعتزل .

وبقى فى خلافته ست سنوات حتى مات فى ١٣ من مارس عام ١٩١٤ [(١)] إثر سقوطه من على فرس وجرح ، واعتقل لسانه قبل الوفاة بأيام ، وكان قد استخلف المرزا « بشير الدين محمود » نجل المرزا « غلام أحمد » الأكبر ، وكان يبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما .

شخصيته :

يلتقى مع المرزا فى كثير من معالم شخصيته ، فهو صاحب تلك النفس القلقة الثائرة الطموحة ، والعقلية النزاعة للتحرر وإخضاع الدين والعقيدة للعلوم الطبيعية ونظرياتها بالتأويل ، وتحميل اللغة مالاتحتمله ، وجنح بهذه النزعة إلى تأويل المعجزات والحقائق الغيبية .

وكمرزا تماما ، كان مفتونا بالجدل والمناظرات ، كثير الرغبة فيها وهو منزع كان له أثره فى فتنة المرزا وكذلك فى الحكيم . وكانت الأربعون سنة لخلافته هى قصة التزييف التدريجى لتلك الحركة الجديدة فى بنائها التى تقوم عليه اليوم [(٢)] وقد كتب لتلك الجماعة قرابة ستة كتب .

(١) صحيفة بيغام صلح مجلد ٤ ع ١١٤

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ص ٤٠٦

مفترق طرق :

فى أثناء خلافته كان يتردد فى تكفير من لا يؤمن بالمرزا كنبي ثم جزم بالتكفير [(١)] ، وثار حول خلافته نقاش ولكنه لم يعتزل وظل فيها حتى مات .

وكانت مسألة (نبوة مرزا) قد طرحت نفسها بمنطق العقل والواقع والفكر الذى لقيته من الأمة الإسلامية .

ومات نور الدين وانقسمت القاديانية إلى شعبتين :

الأولى : شعبة يتزعمها المرزا بشير الدين محمود بن غلام أحمد وهى (شعبة قاديان) .

وأساس عقيدتها : نبوة المرزا غلام أحمد فى صراحة وصرامة ، وحافظت على معتقدها هذا ودافعت عنه فى قوة وحماس بلا مواربة ولا تأويل ، وهى بهذا امتداد لدعوى النبوة ، وانفتاح بابها على مصراعيه ، وفى ذلك يقول بشير الدين محمود : « لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفدت ، ما قدروا الله حق قدره ، إنكم تتنازعون فى نبي واحد ، وأنا أعتقد أنه سيكون هنالك ألف نبي (بعد محمد صلى الله عليه وسلم) [(٢)] وقد أحدث ذلك فوضى فى « النبوة » وفقدت كلمة « النبوة » جلالتها وحرمتها وقداستها ، وأصبحت ألعوبة وعبثا ، وكثر المتنبئون فى القاديانية ومدعو الإلهام حتى لقد عد منهم الأستاذ محمد إلياس البرى إلى عام ١٣٥٥ سبعة .

---

(١) كلمة الفصل لبشير أحمد القاديانى .

(٢) أنوار خلافت ص ٦٢

وقد شعر (الأستاذ محمد على اللاهورى من زعماء الأحمدية) بخطر فتح باب النبوة من جديد وتكفير من لا يؤمن بها ، وكان قد ظل مدة يؤمن بغلام أحمد كنبي ، ثم رجع عن ذلك ، وانتقد الفئة القاديانية التى يتزعمها « بشير الدين » انتقادا شديدا ، فقال : « أنشدكم بالله ، إن صح الإعتقاد بأن النبوة لم تنقطع وأن الأنبياء ، لا يزالون فى غدو ورواح إلى هذا العالم كما صرح بذلك « محمود أحمد » فى « أنوار الخلافة » أفلا تزال هذه الطوائف التى تعد بالآلاف يكفر بعضها بعضا ؟ وتغيب الوحدة الإسلامية ؟ .

« نفرض أن هؤلاء الأنبياء يبعثون فى الجماعة الأحمدية القاديانية وحدها ، أفلا تمزق بذلك الجماعة الأحمدية نفسها ؟ إنكم لاتجهلون السنن القديمة ، وتعرفون كيف كان الناس ينقسمون بين موافق ومعارض على مبعث نبي ، إن الله الذى قد قضى بتوحيد شعوب العالم وأممه أيمزق المسلمين ويقطعهم إربا إربا ؟ ليكفر بعضهم بعضا وتتوتر بينهم العلائق والصلات أو تصبح الأخوة الإسلامية أثرا بعد عين ؟

« اعلموا إذا كان الله قد وعد بأن يظهره على الدين كله وهو لا يخلف الميعاد فإن الإسلام لا يبتلى بهذه المحنة ولا يأتى يوم ينفرد كل نبي بحزبه ، وتتوزع المسلمين دعوات مختلفة ، ورايات مختلفة ، ومراكز روحية مختلفة ، ويصبح كهنتها محتكرين بالإيمان والنجاة ويكفرون سائر المسلمين »[1] .

---

(١) رد تكفير أهل القبلة ص ٣٤ لمحمد على .

وانتهى برأيه هذا ومن شايعه عليه إلى شعبة أخرى من القاديانية هى :

الشعبة الثانية :

وهى (شعبة لاهور) بزعامة محمد على اللاهورى [1] .

تعريف بمحمد على :

فى إبان ظهور مرزا بدعوته عمل « محمد على » معه أمينا للجماعة الأحمدية بقاديان ، وكان ينوب عنه أحيانا فى إلقاء بعض البحوث في المؤتمرات الدينية بالهند ، والتقديم لها كبحث « تعاليم الإسلام » كما ترجم سورا من القرآن الكريم ، وكتب كثيرا من التفسير ، وألف عدة كتب بالانجليزية والأوردية منها :

(محمد الرسول) و (الإسلام عقيدة إنسانية) وكتب كذلك عن (الحركة الأحمدية) و (العقيدة البهائية) ، وهو كاتب مكثر ، كما أنه العقل المفكر لجماعته .

ويوضح صلته وإيمانه بالقاديانية فى مقدمة كتابه (موجز الحديث [2]) وأصبحت هذه الجماعة الجديدة أقرب ما تكون إلى نتاج تدريجى لمجموعة من الأفكار جديدة فى جوهرها واتسم نشاطها بالتنظيم والفعالية وبخاصة فى ميادين الطبع والعمل الدعائى الأجنبى المنظم والتجديد العقلى ونشرت ترجمات للقرآن الكريم ودراسات كثيرة .

---

(١) كانت وفاته سنة ١٩٥١ .

(٢) أنظر (القاديانية) ص ٥٠ للدكتور أحمد محمد عوف .

معتقد شعبة لاهور :

أساس معتقدها وما يلح به زعماؤها أنهم لا ينكرون الإلهامات الإلهية للقادياني ، وأنه لم يدع النبوة .

وما قاله وأثر عنه صراحة فى دعواها ، إن هى إلا تعبيرات ومجازات ومن أجل هذا يلقبهم القاديانيون بالمنافقين لأنهم يحاولون الجمع بين العقيدة القاديانية — ومن أسسها دعوى النبوة — والانتساب إلى مؤسسها وزعيمها ، وبين إرضاء الجماهير .

ولشعبة لاهور ضلالة قاصمة يبثونها فى كتبهم بلسان زعيمهم وهى : إنكار أن يكون المسيح عليه السلام ولد من غير أب . وزعيمهم محمد على يصرح : بأن عيسى عليه السلام ابن يوسف النجار وأن مريم كانت متزوجة به وأن المسيح ولد بطريق عادى ويحاول تحريف بعض الآيا لتوافق هذه العقيدة ، ويذكر أن عقيدة ولادة المسيح من غير أب ليست من عقائد الإسلام التى يجب الإيمان بها وإنها من مبادىء المسيحية [1] .

* * *

ويلاحظ أثر اليهودية واضحا فى هذا الرأى ، إذ هو أساسا من مفتريات اليهود على رسول الله عيسى بن مريم البتول عليهما السلام : (وبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَم بُهْتَانًا عَظِيمًا) [2] .

---

(١) عيسى ومحمد ص ٧٦ لمحمد على ، نقلا عن القاديانية للشيخ الخضر ، وانظر (بيان القرآن) ج ١ ص ٣١٣ ، ٣١٤

(٢) سورة النساء الآية ١٥٦

على أنه « محمد على » إذ ينفي نسبة النبوة للمرزا ويلقبه بمجدد القرن الرابع عشر ، والمصلح الأكبر ، فإنه يعتقد أنه — أى المرزا — المسيح الموعود ، وجاء فى تفسيره ما يصرح بذلك إذ يقول فى تفسير قول الله تعالى : (وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ) [(١)] : إن ابن مريم الذى أخبر الرسول بقدومه ليس معناه إلا أن يأتى أحد أفراد هذه الأمة فى لون ابن مريم ، كما تحققت نبوءة « الياس » بقدوم «يحيى» فى لونه [(٢)] .

ويلقب « غلام أحمد » بمسيح هذه الأمة ، ويلقبه بالمسيح الموعود [(٣)] وقد تحاشوا تسمية المسلمين كفارا ، ولكنهم أطلقوا عليهم الفاسقين ، وعليهم أن يعتبروا (مرزا) مجدد الإسلام ، والمهدى المنتظر ، والمسيح الموعود ويقولون : (فالمسلمون فى نظر جماعة لاهور فاسقون ، مهما كانت فضيلتهم ، ومهما حسنت أعمالهم ، طالما أنهم يلفظون (مرزا) وآراءه .

* * *

الحركة الأحمدية :

وهاتان الشعبتان (قاديان ، ولاهور) يطلق عليهما اسم (الحركة الأحمدية) نسبة إلى (مرزا غلام أحمد) نفسه .

---

(١) سورة آل عمران الآية ٤٩

(٢) بيان القرآن ج ١ ص ٣١٧

(٣) رد تكفير أهل قبلة لمحمد على ص ٥ وكتاب النبوة فى الإسلام ومناظرة راو لبندى

ونرى مما سبق عرضه أنهما وإن لم يكن قد التقيا التقاءًا كاملا إلا أنهما على الأقل مقتربان .

ويرى « برنى[1] » : أنهما على النقيض ، إذ تتصف الأولى بسوء السلوك وخليفتها يرى لنفسه أحقية زعامتها .

وتتصف الثانية بالمراوغة والإغماض ويقف أعضاؤها موقف الدفاع عن المذهب ، كما نهجوا منهج الإقلال من التعاليم القاديانية وتحروا السهولة فى عرضها لتحوز القبول لدى جماهير المسلمين .

ولا زالت لكل من الجماعتين فعاليتهما وقد تقدمتا فى نشاطهما وسارت كل منهما فى طريق ، وابتعدتا كثيرا عن منطلقهما المشترك ، كما ابتعدت كل منهما عن الأخرى ، وهما فى طرقهما المتشعبة تلك بدءًا واستمرارا بعيدتان عن الإسلام .

---

(١) انظر (القاديانية) ٥١ للدكتور أحمد عوف .

الفصل الثانى

نشاط القاديانية ومظاهره

أوجه نشاطهم وركائزه :

نشط القاديانيون فى الدعوة إلى نحلتهم وما زالوا ، ورغم الجهود الجبارة التى يبذلها المسلمون وعلماؤهم فى سبيل توضيح حقيقة هذه النحلة ووقف تيارها وكبح ضلالها فقد لقى نشاطهم الدائب رواجا بين بعض الناس لأسباب منها :

(ا) أنها قد ارتكزت أساسا على كثير من تعاليم الإسلام ، وتقدموا باسم الدعوة إليه وتجديده وإصلاح حال أهله — ورد العوادى عنه حتى أصبح الذين لا يعرفون حقيقتهم يعتقدون أنهم دعاة للإسلام بحق وربما أعجبوا بنشاطهم فى هذا الصدد ، وأنكروا على مخالفيهم الذين يحذرون المسلمون من أباطيلهم .

(ب) مناصرة المستعمر لهم حتى لقد منعت بريطانيا كل الحركات التبشيرية فى القارة الهندية من التعرض لهم ، وقدمت لهم كل الخدمات فى الهند وفى المستعمرات التابعة لها فى أفريقيا وغيرها ، ولهم جولات ومنازعات فى ساحات القضاء بينهم وبين خصومهم انتصر لهم فيها المستعمر وأعوانه فضلا عن حماية البوليس لزعيمهم فى نشاطه بالمناظرات والمحاضرات .

(ج) ما امتازوا به – وخاصة دعاتهم – من السعى الدائب وخوض المعارك الكلامية ، وانتشارهم فى كثير من البلدان ، مع اتصاف بالصبر والمثابرة وتركيزهم على البسطاء ومن يسهل قيادهم .

مظاهر نشاطهم :

وقد تعددت مظاهر نشاطهم على وجوه منها :

مجال الكتابة بأنواعه وبخاصة تأليف الكتب وتحرير الرسائل وقد بلغ ما كتبه « القادياني » نفسه أربعة وثمانين كتابا ورسالة ، وتابعه أعوانه وأتباعه مثل الحكيم « نور الدين » و « محمد على » وأبناؤه وقد عرضنا لكثير من نصوص هذه الكتب فيما سلف .

* * *

وفى مجال الصحافة أنشأوا كثيرا من الصحف بعدة لغات فى عهد « القادياني » وبعده . ومنها ثلاث صحف دورية (١) . الأولى : (البدر) وتصدر أسبوعيا ، باللغة الهندية لمتابعة أخبار المرزا اليومية . ورحلاته .

والثانية : (الحكم) أسبوعية ، للبحوث الإسلامية والفتاوى ، ومتابعة مايرد إليه من أسئلة وغيرها .

الثالثة : (الأديان) شهرية ، للبحوث الدينية التى لها طابع متجدد وتدور حول تأييد دعواه والانتصار لها .

---

(١) انظر (القاديانية) بحث للدكتور محمود زيادة (مجلة الهدى الإسلامى) ع ٤ س ١٩٧٠ ليبيا .

كما صدرت جريدة باللغتين الفارسية والعربية باسم (البشرى) لنشر دعواه بين الفرس والعرب ، فضلا عن صحيفة (الفضل) لسان حالهم وحامل دعوتهم الرسمى .

وفى مجال التعليم أنشأوا عدة مدارس منها (المدرسة الكلية) سنة ١٨٩٣ لتعليم الحكمة والفلسفة وسائر العلوم .

فى بناء المساجد :

كما اهتموا بإنشاء المساجد التى لها طابع خاص بهم كمسجد الضرار (قاديان) سنة ١٩٠٠ وقد بلغ ضيق المسلمين به أن أقام أقرب الناس إليه جدارا أمامه ليعوقوا الوصول إليه ، فاستنصر عليهم القاديانى بالقضاء الذى حكم بإزالة الجدار .

فى المجال الاجتماعى :

أنشأوا دارا للضيافة فى (قاديان) ينزل فيها المارة على اختلاف نحلهم ومذاهبهم ، كما عنوا بعد ذلك بإنشاء المستشفيات يلحقونها بمراكزهم التبشيرية على نمط ما يفعله مبشرو الصليبيين .

وهذا النشاط كله يدعمه ماديا مايرد عليهم من تبرعات وهدايا ومايقدمه لهم الحكام المستعمرون .

* * *

الدعاة :

ومن أبرز نشاطهم ومرتكزهم لنشر دعواهم : تربية الدعاة على طابع دعوتهم وبثهم فى أنحاء البلاد ، داخل الهند وخارجها ، ولهم قدرة عجيبة فى هذا المجال .

ودعاتهم متنوعوا الثقافة فمنهم إمام المسجد ، ومنهم المدرس ، ومنهم الطبيب ، ويتسمون بخلق الصبر والمثابرة والتفانى فى نشاطهم لدعوتهم ، وفكرهم محصور داخل إطارها ، لا يتعدونها ، قد لقنوها حفظا وترديدا ، ويصاب أحدهم بالحصر والعى واصطناع التقية إذا ما تهاوت حججه أمام مناقشة جدية ، وقد لمست فيهم ذلك عن كثب بالتجربة ، كما أن كثيرا منهم يتمتع بطابع الهدوء والدماثة مما تحس إزاءه بالإشفاق عليه من هذه الأفكار والدواعى الخاطئة .

* * *

مراكز نشاطهم

فى الهند :

١ ـ فى « قاديان » نبتت هذه النابتة ، وفيها تركزت أحلام القاديانى أن تكون يوما مركزا وقاعدة لدعواه دينيا وسياسيا ينظر إليها كمنارة هادية ، وبمنطق هذه الأحلام نسجت الأباطيل (المقدسة) حولها فالقاديانى يبدأ بتطبيق ما نزل من آيات الكتاب العزيز فى مكة

والمسجد الأقصى على (قاديان) فيقول [١] : « إن قوله تعالى : (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) [٢] يصدق على مسجد قاديان ويقول من شعره ما ترجمته : إن أرض قاديان تستحق الاحترام وأنها من هجوم الخلق أرض الحرم [٣] » ويقول : « تحقق عندى أن الذى قلته فى براهين أحمدية عن قاديان على طريق الكشف ، وأنها ذكرت فى القرآن صحيح لا غبار عليه ، فإنه من المؤكد أنها المراد بقوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ [٤]) فالمراد بالمسجد الأقصى مسجد المسيح الموعود الواقع فى قاديان [٥] » . ويتخذ القاديانيون هذا معتقدا وأنها — أى قاديان — ثالثة المقامات الثلاثة المقدسة ، فيقول المرزا بشير الدين محمود : « لقد قدس الله هذه المقامات الثلاث : مكة ، والمدينة ، وقاديان ، واختار هذه الثلاث بظهور تجلياته » ؛ وتشيد صحيفتهم الفضل بمدفن غلام أحمد فيها وتسوى بينه وبين مدفن سيد المرسلين وخاتمهم صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) فى حاشيته على (براهين أحمدية) ج ٤ ص ٥٥٨

(٢) سورة آل عمران من الآية : ٩٧

(٣) در ثمين مجموع كلمات غلام أحمد ص ٥٢ ومعنى العبارة أن المستعمرين ، الانجليز لما تعهدوا له بحماية (قاديان) من اقتحام المسلمين لها صارت بذلك أرضا حراما بحمايتهم كما أن مكة أرض حرام بحماية الله تعالى لها .

(٤) سورة الإسراء من الآية : ١

(٥) تذكرة تعنى الوحى المقدس ص ٣٤٥

وتنشر إعلانا عن قسم التربية فى (قاديان) [١] فتقول :

« إن الذى يزور قبة المسيح الموعود البيضاء يساهم فى البركات التى تخص قبة النبى الخضراء فى المدينة ، فما أشقى الرجل الذى يحرم نفسه هذا التمتع فى الحج الأكبر إلى قاديان » [٢] .

وإذ كانت قاديان — فى زعمهم — بهذه المنزلة فالحج إليها أيضا حج ظلى إلى البيت الحرام [٣] وتزيد صحيفة (بيغام صلح) [٤] على ذلك قولها : « إن الحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف خشيب لأن الحج إلى مكة اليوم لايؤدى رسالته ولا يفى غرضه » .

* * *

والقاديانية إذ تضفى على مركزها الأول هذه القداسة المتوهمة إنما تستقطب قداسة لنفسها كدين عالمى ، له بجانب كتبه وأصحابه وخلفائه مقدساته كذلك وحرمه ؛ وتحسب بذلك — واهمة — أنها تعوض مسلميها عن مقدسات الاسلام ومناسكه .

لكن أين قاديان الآن وأين منزلتها تلك ؟ لقد آلت بعد تقسيم الهند سنة ١٩٤٧م ضمن نصيب جمهورية الهند ، وجلا عنها — وعن بركاتها المزعومة — القاديانيون وأصبحت مهجورة لا كيان لها .

---

(١) الفضل ٣ / ٩ سنة ١٩٣٥ م

(٢) الفضل ع ١٨٤٨ ديسمبر سنة ١٩٢٢ م

(٣) الفضل المجلد العشرون ع ٦٦

(٤) المجلد الحادى والعشرون عدد ٣٣ وهى لسان حال الفرع اللاهورى .

الربوة :

وفى باكستان كون القاديانيون إمارة حرة لهم فى « بنجاب » وتمركزوا بها واعتبروها مستعمرة خاصة بهم ، حتى وظائفها الحكومية قاصرة عليهم وسموها (الربوة) لتكون ـ بمنطقهم التقديسى ـ مجالا ليطبقوا عليها قوله تعالى : (وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)[1] .

هدفهم اقامة دولة مستقلة لهم :

ذلك أنهم بعد استقلال باكستان بدأ ينشأ لديهم اتجاه جديد وهو أن يؤسسوا فى داخل هذه الدولة دولة لأنفسهم فما كادت تمضى على قيام باكستان سنة كاملة حتى ألقى الخليفة القاديانى « بشير الدين محمود أحمد » خطبته فى كوئته فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٤٨م[2] .

ومما جاء فيها :

« إليكم مقاطعة بلوخستان البريطانية ـ التى هى جزء من بلوخستان الباكستانية الآن ـ عدد سكانها نحو خمسمائة أو ستمائة ألف نسمة وهذا العدد وإن كان أقل من عدد سكان المقاطعات الأخرى ولكن لهذه المقاطعة أهمية عظمى باعتبارها وحدة من وحدات البلاد .

وإنكم لمدركون معى صعوبة جعل سكان مقاطعة كبيرة أحمديين ولكن ألا ترون أنه من الممكن أن نجعل سكان مقاطعة صغيرة كهذه

---

(١) سورة المؤمنون من الآية : ٥٠

(٢) الفضل ١٣ / ٨ / ١٩٤٨ م

أحمديين ؟ . إننا إن أولينا تلك المقاطعة عنايتنا فمن الممكن أن ننشر لواء الأحمدية عليها ، إلا أن دعوتنا لن تنجح إلا إذا كان أساسنا محكما متينا ، فإن استحكم الأساس فإن دعوتنا ستنتشر فأحكموا أساسكم أولا ، أقيموه فى موضع من المواضع فى قطر من الأقطار ، فإن جعلنا سكان المقاطعة جميعا أحمديين يكون فى أيدينا مقاطعة يمكننا أن نقول عنها إنها مقاطعتنا وذلك عمل يمكن أن يتم بسهولة .

وقد خلفت الربوة (قاديان) إمارة روحية مادية مستقلة يجتمع فيها الاستبداد والاستهتار والفساد ، والدعارة ويعيش فيها الخليفة عيش الأباطرة والباباوات فى القرون الوسطى ، هذه الإمارة الروحية التى تأسست باسم دعوة دينية وزعامة روحية مباءة تتحكم فيها الدكتاتورية الدينية والشهوانية العاتية[1] وتشبه قلعة (الموت) فى عهد الحسن الصباح الاسماعيلى .

يقول الأستاذ[2] « عبد الرحمن المصرى » فى كلمته التى سجلها قاضى محكمة الاستئناف فى (لاهور) فى حكمه الذى أصدره فى يوم ٢٣ / ٩ / ١٩٣٨ م : إن الخليفة الحالى المرزا بشير الدين محمود من كبار الفساق ، إنه يتصيد الفتيات فى ستر من الزعامة الدينية ، وله وكلاء وسماسرة من الرجال والنساء ، يحضرون له

---

(١) دكتاتور العصر الحاضر الدينى نقلا عن القاديانى للأستاذ أبى الحسن الندوى

(٢) مدير كلية تعليم الإسلام فى (قاديان) ومن كبار علماء الجماعة القاديانية اسلم على يد بعض القاديانيين ونشأ فى حضانتهم وتعلم فى مصر وحاز ثقة جماعته حتى كان يستخلفه المرزا بشير الدين فى إمامة الصلاة ثم اطلع على أسرارهم فثار عليهم وألف لجنـة من الثوار كان رئيسها اه نقلا عن (القاديانى) للأستاذ أبى الحسن الندوى ص ٨٣

الفتيات الغافلات والشباب الغر وقد أسس لهذا الغرض ناديا سريا من أعضائه الرجال والنساء يفسق فيه » .

هذا ما يجرى فى الإمارة الروحية للقاديانية كما هو مسجل بسجلات القضاء – وعلى يد من ؟ على يد من تقول فيهم صحيفتهم (الفضل)(١) : « لم يكن فرق بين أصحاب النبى – صلى الله عليه وسلم – وتلاميذ المرزا غلام أحمد إلا أن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية » وإذا لم تستح فاصنع ماشئت .

وفى سبيل العمل لتحقيق هدفهم فى إقامة دولة لهم ، ونشر دعواهم فى كل مكان فإنهم يسعون بكل طاقاتهم مستغلين كل ظرف يواتيهم ، وها هو أحد زعمائهم السياسيين « ظفر الله خان » ينتهز فرصة تولية وزارة الخارجية وسلطانه فيها بكل حزم وعزم فملأها هى والمفوضيات فى عواصم العالم بالقاديانيين ، ودسهم فى مصالح الحكومة الأخرى ، وسلطهم على رقاب الموظفين المسلمين يتحكمون فيهم كما يشاءون ، ويستغلون وظائفهم لنشر ديانتهم ، والذى لايقبل يستهدف للإهمال والظلم .

وكان أشد من ذلك وأعظم خطرا أن القاديانيين تسربوا فى الجيوش الباكستانية واحتلوا مناصب خطيرة فى الجيش وفى البوليس وفى مصلحة الطيران وكونوا فيها أكثرية ساحقة بحيث يستطيعون أن يحدثوا ثورة فى مصلحتهم ويقبضوا على زمام الحكم متى شاءوا وكان لهم دور خطير فى مأساة « باكستان » الأخيرة وانقسامها فى أحداث أواخر عام ١٩٧١ م .

---

(١) المجلد الخامس عدد ٩٢ فى ٢٨/٥/١٩١٨ م

نشاطهم فى العالم العربى :

للقاديانيين نشاط خارج الهند وباكستان فقد بعثوا مبكرين بدعاة لهم إلى العالم العربى فى العراق وفلسطين وغيرهما ، وتبنوا بعضا من أبناء هذه البلاد ممن غرروا بهم واستخدموهم فى نشر باطلهم .

ويقول المرزا غلام أحمد : (وكذلك صرف إلى نفر من العرب العرباء فبايعونى بالصدق والصفاء ، وكانوا متصفين بحسن المعرفة بل بعضهم كانوا فائضين فى العلم والأدب ، وفى القوم من المشهورين ، وألف بعضهم رسالة فى تصديقى وتأييدى ورد على الذين كانوا من المنكرين ، تلك الرسالة المسماة (إيقاظ الناس) ألفها حبى فى الله ، أول المبايعين إخلاصا وصدقا من بلاد الشام السيد العالم التقى «محمد سعيد الطرابلسى» الشامى النشار الحميدانى وقد ألحقتها بمكتوبى هذا لينتفع بها كل فهيم من الناظرين)[1] .

وفى مكة :

ويروى غلام أحمد فى كتابه (حمامة البشرى)[2] قصة محاولاته للتسلل إلى بعض الناس فى هذا البلد الحرام نقتطف منها مايلى :

«أما بعد ، فإنه قد وصل إلى مكتوب من مكة — شرفها الله وعصمها — فلما قرأته علمت أنه مكتوب كتبه بعض أحبائى من المبايعين ، وعرفت أنه يريد لأعرف أهل مكة من بعض حالاتى ، فما رضى قلبى بأن أكتب إليهم الأمر المجمل المطوى بل أردت أن

(١) حمامة البشرى ص ٩

(٢) ص و — ١ — ومابعدها .

أبين بيانا تطمئن به قلوبهم وتحصل لهم معرفة ويتقوى به رأيهم ووجدانهم وفراستهم فغلب هذا القصد على قلبي، ونفث فى روعى أسرارا لأهل مكة حتى امتلأت نفسى ونسمتى بها ، وكتبتها فى مكتوب وأرسلت إليهم ، ثم بدا لى أن أرتبه بصورة رسالة وأشيعه فى الناس بعد طبعه لينتفع به خلق وليكون كسراج منير الطالبين) [١].

المكتوب الذى جاء من مكة شرفها الله وأعز أهلها :

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلى على رسوله الكريم . سلام الله تعالى ورحمته وبركاته وأزكى تحيته على حضرة جناب مولانا وهادينا ومسيح زماننا غلام أحمد كان الله تعالى فى عونه . آمين يارب العالمين .

أما بعد أعرفكم أنى وصلت مكة بخير وعافية ، وكلما جلست فى مجلس أذكركم وأذكر قولكم وجميع الذى ادعيتموه من الآيات والأحاديث فصار الناس يتعجبون ، والبعض منهم يصدقون ويقولون : اللهم أرنا وجهه فى خير ، ولما فرغنا من شهر الحج ، وهلّ علينا شهر عاشورا ، مررت يوما من الأيام على واحد من أصحابنا اسمه على طايع ، فجلست عنده فسألنى عن الهند وعن السفر وأحواله ، فأخبرته بالذى حصل ، وأخبرته عن دعواكم وفهمته على أحسن مايكون بالذى حصل ففرح بذلك ، وقلت له : وهو رجل حليم عظيم ، إذا رآه المؤمن يصدق به ، فالكلمات التى فهمتها إياه طفق يذكرها عند كل واحد

(١) رسالة بعنوان (حمامة البشرى) .

من الناس ، وقال لى : متى يجيىء إلى مكة ؟ قلت له : إذا أراد الله سبحانه وتعالى يجيىء إلى مكة — شرفها الله تعالى — عن قريب ، والآن ألف كتبا عربية فى إثبات دعواه يريد أن يرسلها — إن شاء الله تعالى — هذا ماقلت لعلى طائع ، ثم لما أردت إرسال هذا الكتاب قلت له : أنا أريد أن أرسل لمولانا كتابا فقال لى : قل له فى الكتاب يعجل بإرسال الكتب التى ألفها ويعجل بالمجيىء بنفسه إلى مكة، فقلت له : حتى يأذن الله ، وقلت له : لولا مخافة الفتن ماتركت الكتب التى ألفها مولانا وجئت بها ، فقال لى : لم خفت ؟ لوجئت بها لكان خيرا ، ثم قال لى : اكتب لمولانا يرسل الكتب على اسمى ، وأنا أقسمها وأطلع عليها شريف مكة والعلماء وجميع الناس ولا أبالى من أحد ، وقال : أنا أعرف أن المؤمن إذا سمع ذكر هذا الرجل يفرح والمنافق يبغض ، وهذا الرجل المذكور اسمه على طائع ساكن فى شعب عامر ، وهو رجل طيب من الأغنياء ، وصاحب بيوت وأملاك وتاجر عظيم ، فأنتم أرسلوا الكتب باسمه وبهذا العنوان يصل إن شاء الله تعالى إلى مكة المشرفة ويسلم بيد على طائع تاجر الحشيش (١) فى حارة الشعب يعنى شعب عامر) .

(الراقم بذلك احقر عباد الله الصمد محمد بن احمد .

ساكن شعب عامر ، ٢٠ شهر عاشورا سنة ١٣١١ هـ) .

* * *

---

(١) كذا : وهذا مثل ونوع للاتباع الذين يتألفهم فى موطن الرسالة الخاتمة .

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم .

أما بعد فإنه قد وصلني مكتوبك وقرأته من أوله إلى آخره .

وأما ما ذكرت طرفا من حسن أخلاق السيد الجليل الكريم على طائع وسيرته الحميدة وآثاره الجميلة ، ومودته وحسن توجهه عند سماع حالاتى ، ومن أنه سر بذلك فأنا أشكرك على هذا وأشكر ذلك الشريف السعيد الرشيد ، وأسأل الله لك وله خيرا وبركة وفضلا ورحمة إلى يوم الدين .

وقد أُلقى فى قلبي أنه رجل طيب صالح ، وعسى أن ينفعنا فى أمرنا ويكمل الله لنا بعض شأننا بتوجهه وحسن إرادته وعلى يده .

وفطنت بفراستى أن ذلك السعيد الذى ذكرت محامده فى مكتوبك رجل شجاع فى سبيل الله لايخاف لومة لائم عند إظهار الحق وإشاعته وتأييده وتشييده ، وقد جمع الله فيه سيرا محمودة ، وأخلاقا فاضلة مع الفتوة والشجاعة وانشراح الصدر وجود النفس والورع والتقوى .

وإنى أرى أن أذكر لهذا الفتى النجيب قليلا من حالاتى ومما أنا عليه من هداية ربى ، وأكشف له عما منّ الله به على وأعرفه من بعض سوانحى لعله يزيد معرفة فى أمرى ، ولعله يتفكر ويعلم ما أراد الله رب العالمين ، فاعلموا ياإخواننا — رحمكم الله وحماكم وحفظكم — أن الله اطلع على الأرض فى هذا الزمان فوجدها مملوءة من الفسق والكفر

والشرك والبدعات وأنواع المعاصى ومكائد المتنصرين ، ورأى أن النصارى جعلوا عبدا عاجزا إلـٰها ، وخرقوا لإثبات الألوهية دلائل من التوراة والإنجيل بتأويلات منحوتة من عند أنفسهم وصاروا فى الأرض أئمة المفسدين ، وقد أضلوا خلقا كثيرا .

وما بقى قوم فى الهند ولا قبيلة فى هذه الديار إلا دخل بعض منهم فى دين التنصر إلا ماشاء الله ، وكانت هذه بلية عظمى على دين الإسلام ماسمع نظيرها من قبل وما وجد مثلها فى الأولين ويسبون رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويشتمون وينحتون فى شأنه بهتانات ، ولايتكلمون إلا بسبيل التعنيف والتهجين والتوهين ، وألفوا فى الرد على الإسلام وتوهين رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ألوفا من الكتب ، وطبعوها وأشاعوها فى البلاد وتبعوا آثارا لإبليس اللعين — فلما بلغت فتنتهم إلى هذا المبلغ وأضلوا جيلا كثيرا ، اقتضت رحمة الله الرحيم الكريم أن يتدارك عباده وينجيهم من كيد الكافرين ، فبعث عبدا من عباده ليؤيد دينه ويجدد تلقينه وينير براهينه وينضر بساتينه وينجز وعده ويعز حبيبه وأمينه ويجعل الأعداء من الخاسرين ، وخصنى بعناياته وأمرنى بإلهاماته وربانى بتفضيلات ، وأيدنى بتأييدات متعالية عن طور العقل ، وآتانى من لدنه العلوم الإلهية والمعارف والنكات وشفعها الآيات ليتعاطى الناس منى كأس البصيرة واليقين .

فيا حسرة على قومى إنهم ما عرفونى ، وكذبونى وسبونى وكفرونى ولعنونى كما يلعن الكافرون . .

في مصر :

وفى عامى « ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ » حاولت جماعة (لاهور) أن تنال تأييد « الجامع الأزهر » لدعوتها فبعثت بطالبين وألحقتهما بكلية أصول الدين ، وحاول هذان الطالبان نشر كتيبات باسمهما تحت ستار الإسلام ، أحدهما سمياه « تعاليم الأحمدية » والثانى « الأحمدية كما عرفناها » وهذان الكتابان كانا بداية تطعيم الإسلام فى مصر بتعاليم القاديانية .

فلما علم شيخ الجامع الأزهر بأمر هذين الطالبين شكل لهما لجنة للتحقيق معهما ، والتحقق من مذهبهما وكانت هذه اللجنة برئاسة الشيخ « عبد المجيد اللبان » عميد كلية أصول الدين آنذاك .

وكتبت اللجنة فى قراراتها إن القاديان كافرون ، وفصل الطالبان من الكلية واعتبرا ملحدين ، ونشرت عنهما الصحف المصرية ، ومن هنا استن مبدأ استبعاد القاديانيين والأحمديين من الدراسة بالأزهر الشريف[1] » .

وكذلك كان قد فتن بهم بعض الناس فى مصر وتبعوهم ، وأقاموا لهم كيانا على هذا الباطل ، لكن سرعان ما تبينوا وجه الحق وثابوا إلى رشدهم ، وتبرءوا من هذا الضلال على رءوس الأشهاد[2] .

* * *

---

(١) انظر القاديانية ص ٥٢

(٢) انظر ملاحق (القاديانية) للشيخ الخضر حسين .

فى أمريكا :

شهدت[1] الفترة ما بين الحربين العالميتين قيام حركات إسلامية عدة كان لها أهميتها وخطرها ، وقد كان لجماعة القديانيين نصيب ملحوظ فى هذا الميدان لقد بدأ هؤلاء نشاطهم بمدينة « شيكاغو » على يد « الدكتور مفتى صادق » الذى قدم من الهند وأصدر مجلة بالإنجليزية عنوانها « شمس الإسلام الطالعة » بدأ صدورها عام ١٩٢١ م ، ويقال : أنها كانت ذات أثر فى التعريف بالإسلام فى أمريكا .

ثم خلفه السيد « صوفى بنغالى » عام ١٩٢٩ م الذى قضى عشرين عاما بذل فيها جهودا كبيرة ، ثم جاء بعده « الدكتور خليل ناصر » الذى نقل المقر الرئيسى للحركة إلى مدينة « واشنطن » مقر حكومة الولايات المتحدة ، ويقال : إن أكثر أتباع هذه الحركة مهاجرون من الهند والباكستان ،، ويقدرون ببضع مئات ، ولكن الحركة اكتسبت بضع مئات أخرى من الأمريكيين ، أكثرهم من الملونين .

وهم يبدأون دعوتهم على أنها دعوة إسلامية ، ثم ما يلبث من لبى هذه الدعوة أن يراهم وقد ألقوا فى روعه أن المذهب القاديانى هو الإسلام الصحيح .

ويوجد لهذه الفرقة ثلاثة مراكز رئيسية ، أحدها فى نيويورك والثانى فى واشنطن ، والثالث فى سان فرنسيسكو ، ولعل أكثرها نشاطا ذلك المركز الأخير الذى بدأ يبث نشاطه فى غرب الولايات المتحدة .

---

(١) الإسلام فى أمريكا ص ١٣٧ و ١٤١

ومن يسلم أو يدرس بعض المسائل الإسلامية على أيدى هؤلاء الناس ، سرعان ما يشعر بأن تلك التفاصيل الإضافية المزيفة التى ينمقها هؤلاء الناس غير مستساغة ، فيسلم ، ويسلم فى نفس الوقت من الوقوع فى تلك الأخطاء التى يروجها دعاة هذا المذهب فيما يختص ببعض العقائد .

فى اوربا :

لهم فيها عدة مراكز فى دول مختلفة ويسمونها (مراكز إسلامية) فى لندن[1] وفى ألمانيا بمدينة هامبورج ، وفى أسبانيا بمدريد ، وفى سويسرا بزيورخ .

والشرق الأقصى :

كذلك أقاموا لهم مراكز ونشاطا فى سيلان وبورما وماليزيا وأندونيسيا فى جزر سومطرة وجاكرتا وباندونج وغيرها .

* * *

فى افريقيا :

أما فى أفريقيا فبلاؤهم شديد يستغلون البسطاء باسم الإسلام وباسم التعليم والعلاج ويدخلون عليهم عقيدتهم تلك ، ومن أهم مراكزهم تلك التى فى نيروبى عاصمة كينيا ، وتابور وكوسومو ،

---

(١) فى انجلترا (مسجد ووكنغ) فى بلدة ووكنغ الواقعة على بعد خمسين ميلاً من لندن وهو عبارة عن غرفة صغيرة لا تزيد من بضعة أمتار وقد أتيح لهم فرصة إنشائه لعلاقتهم بالإنجليز .

وليندى ، وجينجا وفى سيراليون ، وشاطئ الذهب ، وفى نيجيريا لهم عدة مراكز أكبرها فى العاصمة « لاجوس » وفى الشمال موطن الأكثرية المسلمة فى « كانو » لهم مركز ضخم يضم مسجدا ومستشفى ومدرسة ، ولهم نشاط دائب ، وحقل الوثنية أمامهم مفتوح وفيه مجال للمنافسة مع المبشرين إلا أنهم يركزون جهودهم فى صفوف المسلمين ، ولا يجدون صدى إلا فى ضعاف الإسلام ، وأكثر ما يسلكونه فى صفوفهم فى الشمال من قبائل يوربا .

أما مسلمو الفولانى والهوسا فهم مستعصمون منهم ولا يطيقونهم .

خاتمــة

١ ـ لم تكن أول دعوى من نوعها . .

٢ ـ الحصاد . .

٣ ـ رفض المجتمع الإسلامى والفكر الإسلامى لهذه الدعوى وأصحابها . .

خاتمة البحث

رفض المجتمع والفكر الإسلامى للقاديانية

١ ـ لم تكن أول دعوى من نوعها :

لقد عانى الإسلام والمسلمون على مدى التاريخ ومازال ألوانا من الفرق المختلفة ، يكفر بعضها بعضا ، وانفصل بعضها عن الإسلام مختارا أو مطرودا ، وكان أكثر ما عاناه الاسلام والمسلمون من استغلال الدين تحت آية راية ، ولقد كانت أغلب الفرق الدينية والشيع والطوائف التى تكاثرت فى تاريخه تبدأ أصلا كتحزبات وتحيزات لأغراض سياسية أولا ، ثم تنتهى إلى صراع يلبس ثوب الفكر ، ومازالت تلك العوامل تبنى على ترسبات قديمة هياكل جديدة نسج العنكبوت غير منطقية إطلاقا مع الإسلام فى وضوحه وكماله وختمه لرسالات السماء .

والقارئ لتاريخ الباطنية وإخوان الصفا والبهائية والقاديانية لايستطيع أن يستبين ملامح وجه الإسلام المشرقة وسط ركام من التهاويل والأكاذيب والمعميات ، وراءها عقول ذكية ونفوس طامعة ودهاء ومكر وقوة تنظيم واتباع وأشياع .

وممن كان على شاكلة القاديانى من مدعى النبوة « الحارث بن سعيد » الذى ظهر فى أيام « عبد الملك بن مروان » واغتر به خلق حتى وقع فى يد عبد الملك فقتله ولم يبق له فى الأرض أثر .

و « كإسحاق الأخرس » الذي ظهر فى خلافة السفاح ، واتبعه طرائف وقتل فانقطعت فتنته .

والحسين بن حمدان الخصيبي الذى نشر فى جبال حماه واللاذقية النحلة التى يتمسك بها طائفة النصيرية اليوم[1] وقد تثمر جهود أمثال هؤلاء ولكن إلى حين ثم تذهب جفاء ، ويبقى ما ينفع الناس ، وينقطع دابر كل ظالم قال أوحِيَ إلى ولم يوح إليه شئ ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله .

الحصاد :

لو اقتصرت هذه الطائفة على نشر دعواها بين قوم غير مسلمين لخف خطرها ، لكنهم بثوا سمومهم فى شعوب مسلمة يتلى فيها كتاب الله وسنة رسوله ، بغية صرفها إلى الاعتقاد بنبوة شخص ممسوخ ، مطية هوى وهوس ولئام من المستعمرين لتزييف عقيدة الإسلام ومسخ شرائعه ، وتشكيك أتباعه وإضلال الناس عن حقائقه ،وفصم عرى الوحدة فى الأمة ، والإصرار على ذلك والتمادى فيه ، ولا تفتأ هذه الأكذوبة كلما أغلق فى وجهها الصفيق باب أن تلج أبوابا أخرى ، وهناك بعيدا عن أعين الرقباء فى الأمة الإسلامية حيث الأطراف النائية فى العالم الإسلامى .

ولم يقتصر أمر داعيتها على ذلك بل إنه بآرائه المتطرفة والمبتدعة أشاع جوا متوترا بين المسلمين والمسيحيين والهندوس ، فدعوته

---

(١) القاديانية للمرحوم الشيخ الخضر حسين .

فى أول أمرها كانت تدعو إلى « عالمية الأديان » وبأن يترك كل شخص دينه ، وينطوى فى الدين العالمى الذى بشر به (ميرزا) وهذه فكرة ماسونية تهدف إلى العالمية الدينية ، والانطواء فى دين واحد بعد وضع ميثاق دينى موحد لكل الأديان وإبطال كل ديانات العالم ، مع تحقيق المخططات اليهودية التى تتبنى الماسونية العالمية[1] .

لقد كانت (القاديانية) أمل كل حانق على الإسلام ونبيه ، وكل مبيت له ولأهله الكيد والنكال ، وفتحت أبوابا من الشر لما تغلق وهاهى ذى نفثة مصدور وكلمة محنق تنبعث من قلم حاقد لكاتب هندوكى يقول فيها :

« إن المسلمين الهنود يعتبرون أنفسهم أمة منفصلة متميزة ولا يزالون يتغنون ببلاد العرب ويحنون إليها ، ولو استطاعوا لأطلقوا على الهند اسم العرب ، وفى هذا الظلام الحالك وفى هذا اليأس الشامل يظهر شعاع من نور يبعث الأمل فى صدور الوطنيين ، وهى حركة الأحمديين القاديانيين .

وكلما أقبل المسلمون إلى الأحمدية نظروا إلى قاديان كمكة هذه البلاد والمركز الروحى العالمى ، وأصبحوا مخلصين للهند مؤمنين بمعنى الكلمة . إن تقدم الحركة الأحمدية ضربة قاضية على الحضارة العربية والوحدة الإسلامية ، وكل من اعتنق الأحمدية تغيرت وجهة نظره وضعفت صلته الروحية بمحمد — صلى الله عليه وسلم — لذلك ،

---

(١) انظر القاديانية للدكتور أحمد عوف ص ٤٢ .

وتنتقل الخلافة من الجزيرة العربية وتركيا إلى قاديان فى الهند ،ولاتبقى لمكة والمدينة إلا حرمة تقليدية .

إن كل أحمدى سواءٌ أكان فى البلاد العربية أو تركيا أو إيران أو فى أى ناحية من نواحى العالم يستمد من القاديان القوة الروحية وتصبح قاديان أرض نجاة له . وفى ذلك سر يفصل الهند وهذا هو سر عدم ارتياح المسلمين إلى الحركة الأحمدية إنها هى المنافسة للحضارة العربية والإسلام ولذلك اعتزل الأحمديون عن حركة الخلافة لأنهم يحرصون على تأسيس الخلافة فى قاديان مكان تركيا والجزيرة العربية ، وإن كان هذا الواقع متلقا للمسلمين الذين لا يزالون يحلمون بالاتحاد الإسلامى وبالاتحاد العربى ، ولكنه مصدر سرور وارتياح للوطنيين الهنديين » .

ويُقوّم حركة القاديانية وصاحبها عالم من أبناء وطنها لمس بنفسه آثارها .

فيقول الأستاذ أبو الحسن الندوى[1] :

« إنه لم يضف إلى الثروة الاسلامية شيئا يغتبط به ، ويشكره عليه العالم الاسلامى وتاريخ الاصلاح والتجديد ، فلم يكن مصلحا دينيا ولا مصلحا اجتماعيا ، إنه كان داعية شخصيا ، قد أسس لنفسه وأسرته وخلفائه إمارة روحية أرستقراطية مثل آباء « أغا خان » ، ونشر الفوضى الفكرية التى لاتزال مصدر إضطراب وإلحاد وثورة

---

(١) (القاديانى ص ١٤٣)

على الدين ، إن عدد أولئك الذين أسلموا واهتدوا من غير المسلمين ضئيل لا يجاوز عدد أصابع يد واحدة ، وإنما كانت جهوده وعنايته مصروفة إلى المسلمين وإثارة الشكوك فيهم . .

« الواقع أنه لو لم تكن تلك الفوضى الفكرية التى كانت الهند تعانيها بصفة عامة ، وبنجاب بصفة خاصة بسبب السلطة الانجليزية وانقراض الدولة المسلمة وتبلبل المجتمع الإسلامى ، وبسبب المتصوفين الجهال الذين كانوا ينشرون إلهاماتهم ومناماتهم ، ولولا جهل الجيل الجديد بالإسلام ، ولولا تبنى الحكومة الانجليزية لهذه الدعوة ، واحتضانها وحمايتها وتشجيعها ، لولا هذه العوامل كلها ، لما كان لهذه الدعوة الخرافية — المؤسسة على الإلهامات والمنامات والتأويلات — وهذه الحركة الدخيلة الهزيلة مجال ومتسع فى المجتمع الإسلامى .

« لقد عاش داعيتها وخلفاؤه من بعده يتاجرون بالأباطيل ، ولم تكن فيه ولا فيهم سمات الدعاة تلك التى يحيا بها أصحابها فى الحقائق أغنياء بها غنى يستعلون به عن الدجل والاستغلال ، ويقيمون مبادئهم ودعواتهم على ركائز ثابتة من الفضيلة والكمال »

« وعادة الكاذب المدعى لما ليس لديه ، المصطنع لغير ما يجد فى نفسه أن يدركه السهو [1] أحيانا — وقد قيل : (إذا كنت كذوبا فكن ذكورا) فيقع مايحذر ، ويتخلف الطابع الذي اصطنعه فى كثير من

---

(١) انظر « منهج الدعوة » فصل « عبقرية الداعية » دراسات وبحوث للأستاذ البهى الخولى ص ٢٠ ، ٢١ .

قوله وعمله ، ليدركه التناقض ويظهر كذبه » وقد كان هذا سيمة اتضحت معالمها فى شخص القادياني وتصرفاته وأقواله وفى خلفائه وأدعيائه من بعده .

رفض المجتمع الإسلامى والفكر الإسلامى لهذه الدعوة وأصحابها :

فزع المفكرون المسلمون من هذه الدعوى وأهدافها القريبة والبعيدة والتى هى على حساب الدين والوطن .

فرأوا[1] أن الحل الحاسم لهذه المشكلة أن تفصل القاديانية المحتلة عن المجتمع الاسلامى ، وأن تعاملها الحكومة كأقلية غير مسلمة ، وهى الفكرة التى دعا إليها الدكتور محمد إقبال — رحمه الله — بقوة وصراحة ، وكررها فى محاضراته ومقالاته ورسائله ، وقد صرح بأن القاديانية أبعد عن الاسلام من « السك » متعصبى الهنادك ، وقد جعلتهم الحكومة الانجليزية أقلية غير هندوكية ، رغم ما بين هذه الأقلية والهنادك من صلات اجتماعية ودينية وثقافية ، وأنهم يتناكحون فيما بينهم بينما القاديانية تحرم مناكحة المسلمين ومصاهرتهم ، وقد حظر عليهم مؤسسهم كل ارتباط بالمسلمين بقوله : « إن المسلمين لبن فاسد ، ونحن اللبن الطازج » .

وقد اعتبروا — برغبتهم — منذ عام ١٩٠٠ فى جدول الإحصاء الرسمى للحكومة البريطانية فرقة إسلامية قائمة بذاتها وحديثة[2] .

أنظر (القاديانية) للأستاذ أبى الحسن الندوى ص ١٤ ، ١٥

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ص ٤٠٣

رأى المسلمون فى باكستان كل هذا ، وآمنوا بأنه لايمكن أن تكون دولتهم حرة فى سياستها وطبيعتها الإسلامية إلا إذا تحررت — فى سياستها وداخليتها — من النفوذ الأجنبي ووكلائه ، وقد كان لياقت على خان — رحمه الله — قد بدأ يشعر فى آخر حياته بهذا الخطر ، وكان غير مرتاح لهذا الوضع ، ثم كان شعوره هذا من أسباب اغتياله كما يقول المطلعون .

كل ذلك حمل الجماعات الإسلامية والأحزاب المختلفة والشخصيات الدينية على الاهتمام بهذه المسألة ، فاجتمع منهم ثلاثة وثلاثون ممثلا من رؤساء الجمعيات والجماعات الدينية وكبار علماء باكستان فى يناير عام ١٩٥٣ فى كراتشى وطلبوا من الحكومة أن تجعل القاديانيين أقلية غير مسلمة لها حقوقها ، وأن تخصص لهم مايستحقون حسب عددهم من المقاعد فى البرلمان الباكستانى وما يستحقون من الوظائف فى مختلف المصالح والإدارات ، حتى لا يستولوا على أداة الحكومة والجهاز الادارى فى باكستان ، ولا يضايقوا المسلمين فى دولتهم التى أسسوها بدمائهم وأشلائهم .

وتصامت الحكومة عن هذه المطالبة العادلة الصارخة ، ولم تعرها شيئا من العناية ، فاضطر قادة الفكرة إلى حركة عامة تبدى السخط العام وتقنع الحكومة بتغلغل هذه الفكرة والرغبة فى طبقات الجمهور ، وكانت حركة شعبية هائلة لم تشهد البلاد مثلها منذ زمن بعيد ، وأفرغت الحكومة جعبتها لقمع هذه الحركة التى سمتها الثورة على باكستان ، وماهى بثورة ، إنما هى مطالبة شعب هادئ وفى لحكومته مخلص متفان فى خدمتها والدفاع عنها.

وطلبت الحكومة الجيوش لقمع ما تسميه الثورة ، وزجت بآلاف من العلماء ورجال الدين فى السجون ، وبقيت بلاد بنجاب – وهى مركز الحركة – تحت رحمة الجنود تعامل من تشاء بما تشاء ، وكان للاهور النصيب الأكبر من هذه المحنة ، وقد دام الحكم العسكرى فيها أكثر من شهرين وقع خلالهما من حوادث الفتك والبطش والقسوة ما يتخطى القياس ، وحاكمت حكومة باكستان زعماء الفكرة محاكمة عسكرية ، وحكمت على بعضهم بالإعدام ؛ وكان منهم السيد « أبو الأعلى المودودى » – أمير الجماعة الإسلامية فى باكستان – فصدر عليه الحكم بالإعدام من المحكمة العسكرية فى لاهور ، ثم أبدل ذلك الحكم بالسجن أربعة عشر عاما مع الأشغال الشاقة ، وكانت جريمته أنه ألف رسالة باسم (القاديانية) ذكر فيها موقف القاديانية من الإسلام والمسلمين ، وذكر موجبات جعل القاديانية أقلية غير مسلمة فى باكستان .

ولقد فزع علماء المسلمين ورجال الدين لفتنة القاديانية فى كل وطن إسلامى وتصدوا لها بأقلامهم وألسنتهم وعلمهم وأطبقوا على الحكم بضلالهم وتكفيرهم وأفتوا وألفوا فى ذلك مؤلفات كثيرة وأصدرت مراكز الفتوى فتاوى صريحة بكفرهم وارتدادهم عن دين الإسلام .

وأصدرت محكمة بهاولبور سنة ١٩٣٥م – بعد مناقشة طويلة دامت عامين كاملين واشترك فيها كبار العلماء من أهل السنة وكبار علماء القاديانية – حكمها بكفر القاديانية وعدم حل نكاح المسلمة بقاديانى .

ونسأل : هل يظل إنسان مسلم على إسلامه وقد قام يدعى النبوة بعد خاتم المرسلين – صلى الله عليه وسلم – ويحرف عقائد الإسلام وشرائعه تحريفا واضحا ويدعى مع ذلك الإسلام ويصر على التمسك به ؟

يقول فضيلة الشيخ الجليل المحدث السيد « محمد الحافظ التيجانى » :

(فإن جاء أحد وادعى أنه نبي بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإن كان عاقلا فهو كاذب ، ولم يختلف علماء المسلمين فى كفره ومعاملته معاملة الكافرين أمثاله ، ولا يطالب بإجراء خارق العادة ، لأن خارق العادة قبله صلى الله عليه وسلم آية النبوة لجواز وجود الأنبياء .

أما بعده فلو ادعى أحد النبوة فهو مبطل ، لأن الله حكم بأن لا نبى بعده ولا حاجة لدليل ، لأن الإيمان بالقرآن وبخاتم النبيين هو الدليل ، والخوارق الآن على يد الكفرة والفسقة استدراج فلا يعبأ بها ، وراجع كتب التوحيد والردة فى المذاهب كلها إن شئت ، وحيث قد صرح الله عز وجل بكون الرسول خاتم النبيين ، وفسرها من أنزل عليه ، فلا يقع تلبيس إلا عند أهل التلبيس ، أما المؤمنون بالكتاب ومن جاء بالكتاب فالأمر لديهم بين ، لا اختلاط فيه مهما ادعى المدعون[1]).

وفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبو زهرة بعد أن استعرض نحلتهم يبدى رأيه فيهم ويصدر حكمه عليهم بقوله[2] :

---

(١) رد أوهام القاديانية ص ٨١ – ٨٢ للشيخ محمد الحافظ التيجانى .

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٧٨ ج ١

(والآن أهي تعد فرقة إسلامية ؟ لاشك أنها تخالف ما أجمع عليه المسلمون من عهد النبي — صلى الله عليه وسلم — من أنه لا نبي بعده ، وفوق هذا قد جاء فى آراء إمامهم ماهو غريب جدا ، من ادعاء أنه المسيح ، أو أن روح المسيح تقمصته إلى آخر ماجاء فى كتبهم ، وكل هذه الدعاوى من نبوة أو تقمص للمسيح لا دليل عليها قط ، وأقصى ماادعوه له من معجزة هو تنبؤه بالخسوف والكسوف قبل وقوعهما ، وإن ذلك يقع من علماء الفلك والأرصاد ، ويتكرر وقوعه ، وما ادعوا نبوة ولا رسالة ، لأنه العلم والإدراك البشرى ، وخصوصا أنه جاء بعد أن تكامل نمو هذا العلم ، فقد كانت دعوته الجريئة فى آخر القرن الماضى وأول هذا القرن الميلادى ، وإن هذا كله ليس إلا أقوالا لا دليل عليها ن جهة ، ولا تتفق مع المقررات التى قام عليها الدليل من جهة ثانية ، وهى تخرج صاحبها عن الإسلام ، فإن النبي — صلى الله عليه وسلم — تركنا على « المحجة البيضاء التى ليلها كنهارها » وإذا كان هو يتمسك بحديث : « إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة رجلا يجدد لها أمر دينها » فإن المجددين قبله لم يدعوا نبوة ، ولا أن معهم آيات تثبت نبوتهم ، فلماذا يكون هو شاذا بينهم ؟) .

وفى الحق : أنه إذا كان التكفير على الخلافات التافهة فى المسائل الفرعية شيئا غير مستحسن وعملا مستقبحا ، فكذلك أيضا من الخطإ الفاحش عدم التكفير على الانحراف البواح عن الحقائق والمبادىء الأساسية للدين وتزييفها ، وصدق الله العظيم : (كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ

فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ . لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ
الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ
الْمِهَادُ . أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)(١) .

«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب» آمين .

حسن عيسى عبد الظاهر

(١) سورة الرعد الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩

المصادر

مرتبة حسب الحروف الأبجدية

(أ)

الله ... ... للأستاذ عباس محمود العقاد

أسرار الماسونية ... ... الجنرال جواد رفعت

استفتاء ... ... لمرزا غلام أحمد

الإسلام فى القرن العشرين ... ... للأستاذ عباس محمود العقاد

الإسلام فى أمريكا ... ... الدكتور محمد يوسف الشواربى

إظهار الحق ... ... الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى

(ب)

البابية أو البهائية ... ... للأستاذ محب الدين الخطيب

باكستان فى ماضيها وحاضرها ... ... الدكتور عبد الحميد البطريق ومحمد عطا

البشر ... ... قسم الصحافة بسفارة الباكستان

البهائية ... ... للأستاذ محب الدين الخطيب

(ت)

تاريخ الإسلام فى الهند ... ... الدكتور عبد المنعم النمر

تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضاراتهم الدكتور أحمد محمود الساداتى — جزءان

تاريخ المذاهب الإسلامية ... ... الشيخ محمد أبو زهرة

التبليغ ... ... لمرزا غلام أحمد

تذكرة الدعاة ... ... للأستاذ البهى الخولى

تفسير القرآن الكريم ... ... للإمام ابن كثير

تفسير القرآن الكريم ... ... الشيخ محمود شلتوت

(ج)

الجامع لأحكام القرآن ... ... للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري

الجمعية الماسونية ... ... للدكتور أحمد غلوش

(ح)

الحصون الحميدية ... ... الشيخ حسين الجسر

حمامة البشرى ... ... لمرزا غلام أحمد

(خ)

خلاصة السيرة المحمدية ... ... السيد رشيد رضا

(د)

دائرة المعارف الإسلامية ... ...

الدعوة الإسلامية وتطوراتها في الهند ... ... للأستاذ أبي الحسن الندوي

دفاع عن العقيدة والشريعة ... ... للأستاذ الشيخ محمد الغزالي

الدين ... ... للدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز

(ر)

رجال عرفتهم ... ... للأستاذ عباس محمود العقاد

رد أوهام القاديانية ... ... للعارف بالله السيد محمد الحافظ التيجاني

رسالة الباكستان ... ... قسم الصحافة بسفارة الباكستان

(ز)

زعماء الإصلاح في العصر الحديث ... ... الدكتور أحمد أمين

(س)

سكان هذا الكوكب ... ... الدكتور محمد عوض محمد

(ص)

الصابئة ... ... للسيد عبد الرازق الحسني

صحيح البخاري ... ... للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري

صحيح مسلم ... ... للإمام مسلم بن الحجاج القشيري

صحيح الترمذي ... ... للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي

(ط)

طائفة القاديانية ... ... الشيخ محمد الخضر حسين

(ع)

العالم الإسلامي المعاصر ... ... الدكتور جمال حمدان

عقائد المفكرين في القرن العشرين ... ... للأستاذ عباس محمود العقاد

عقيدة المسلم ... ... للأستاذ الشيخ محمد الغزالي

(ف)

الفتاوى ... ... الشيخ محمود شلتوت

الفصل في الملل والنحل ... ... لابن حزم

الفكر الاسلامي المعاصر وصلته بالاستعمار

الغربي ... ... الدكتور محمد البهي

فلسفة الأصول الإسلامية والخطاب الجليل ... لمرزا غلام أحمد – تعريب سيد زين العابدين

(ق)

القاموس المحيط ... ... الفيروز أبادي

القاديانية ... ... لأبي الحسن على الحسنى الندوى

القاديانية والبهائية ... ... الشيخ محمد الخضر حسين

القاديانية – عرض وتحليل ... ... الدكتور محمد إسماعيل الندوى

القاديانية ... ... الدكتور أحمد محمد عوف

القادياني والقاديانية ... ... لأبي الحسن على الحسنى الندوى

القتال في الإسلام ... ... للأستاذ أحمد نار

قصة الحضارة ... ... ول ديورانت

القول الصريح فى ظهور المهدى والمسيح ... ... لنذير أحمد مبشر السيالكوتى

(ك)

كشمير على وشك الانفجار ... ... طبع بجريدة الصباح سنة ١٩٥٧ م

كفاح المسلمين فى تحرير الهند... ... ... الدكتور عبد المنعم النمر

(ل)

لسان العرب ... ... لابن منظور

ليس من الإسلام ... ... للأستاذ محمد الغزالى

(م)

مؤسس الجماعة الأحمدية والانكليز ... ... لعبد الرحيم درد

مجموعة مجلات : الأزهر ، الوعى الإسلامى ،

الهدى الإسلامى ... ...

محاضرات البحوث الإسلامية ... ... الشيخ عطية صقر

محمد على جناح ... ... للأستاذ عباس محمود العقاد

محمد الرسالة والرسول ... ... الدكتور نظمى لوقا

المختار من تيسير الأصول ... ... الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز

مسند الإمام أحمد ... ... للإمام أحمد بن حنبل

المسألة القاديانية ... ... لأبى الأعلى المودودى

المسلمون فى الهند ... ... للإمام سيتيونو

المسألة الهندية ... ... للأستاذ عبد الله حسين

مع الله ... ... للأستاذ الشيخ محمد الغزالى

الملل والنحل ... ... الشهرستانى

منهج الدعوة ... ... بحوث ومحاضرات للأستاذ البهى الخولى

فهرس الموضوعات

الباب الأول

وطن القاديانية وعصرها

الباب الثانى

شخصية القاديانى ودعواه

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع : الصفحة

الباب الثالث

أصول الدعوى ورد شبهاتها

* * *

الباب الرابع

* * *

مع أطيب تحيات أسرة الإشراف الفنى

لمطبوعات سلسلة البحوث الإسلامية

طلعت غنام

المؤلف فى سطور



الأستاذ حسن عيسى عبد الظاهر

* الأستاذ حسن عيسى عبد الظاهر من مواليد شبين القناطر محافظة القليوبية عام ١٩٢٨م ..

* تخرج فى كلية أصول الدين عام ١٩٥٤م وحصل على الشهادة العالية منها بتقدير « جيد جدا » ..

* حصل على شهادة العالمية مع اجازة التدريس من كلية اللغة العربية عام ١٩٥٦م بتقدير « ممتاز » ..

* حصل على شهادة الماجستير فى الدعوة الاسلامية عام ١٩٧١م بتقدير « ممتاز » من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر ..

* تدرج فى عدة وظائف علمية حيث عمل رئيسا لأقسام الحجج والوثائق ، ثم بالمكتب الفنى ثم مفتشا بادارة الدعوة بوزارة الأوقاف ثم عمل بلجنة السنة بمجمع البحوث الاسلامية ..

* سافر الى نيجريا مبعوثا من الأزهر ، وكان له نشاط ملحوظ فى نشر الدعوة الاسلامية والاسهام فى المحاضرات العلمية فى جامعاتها وفى المنتديات والمراكز العلمية والمؤتمرات الاسلامية بها ..

* سافر — كذلك — الى عدة بلاد عربية ، وله نشاط علمى فى تحقيق تراث السنة والكتابات والبحوث الاسلامية ...

* له كثير من المقالات فى الصحف والمجلات الاسلامية ..

* يقوم باعداد دراسات عن الاسلام فى افريقيا ..

* يعمل الآن مدرسا مساعدا بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ..

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

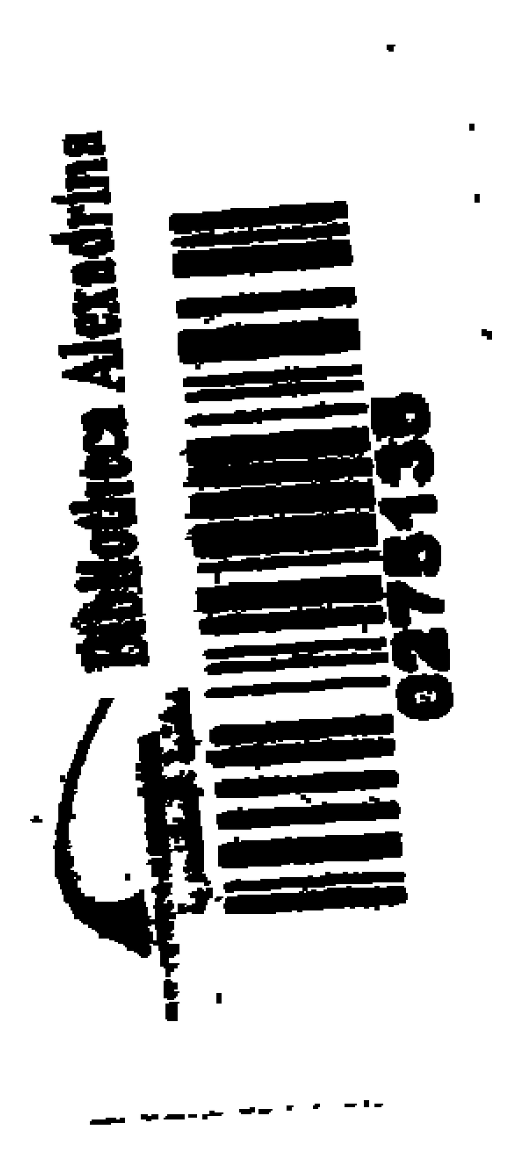
رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٣/٣٤٩٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٨١٩٤-١٩٧٣م-٢٠١٢



الثمن ١٥ ص